

في محكمة التاريخ

دار الشروق

إهـــــــداء2004

دار الشروق

القاهرة

في
محكمة
التاريخ

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

© دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف: ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا: شروق ـ تلكس: 93091 SHROK UN

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا: داشروق ـ تلكس: SHOROK 20175 LE

دكتور عبد الودود شلبي



دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمات ... تـاريخيـة

ليس هناك طريق أقصر مسافة
لهدم الإسلام من إبعاد
المرأة المسلمة والفتاة المسلمة
عن آداب الإسلام وشرائعه.

« أنا ميلجان »

المقدمة

المرأة المسلمة ..

أو المرأة في شريعة الإسلام ..

صراخ وعويل يتردد صداه في كل مكان من أجل هذه المسكينة التي شاء حظها التعس أن تكون مسلمة .

أو شاء لها القدر أن تنسب إلى هذا الدين وهذه الملة ..

هكذا يتصورون المرأة المسلمة في ديار الإسلام ..

كما مهملاً لا قيمة له .. وهكذا يصورون الإسلام « ديناً همجياً » لا إنسانية فيه .

صورة بشعة كئيبة . تصورها أقلام سامة حاقدة وقلوب مريضة عفنة .

« .. ومع ذلك فإن منتسبين إلى الإسلام ـ كما يقول أستاذنا الشيخ الغزالي يرتضون هذه الأحوال ، أو لا يتحمسون لتغييرها .

وأذكر ـ والكلام لا يزال للشيخ محمد الغزالي ـ

أني كنت ألقي محاضرة في اليوم العالمي للمرأة فلما قلت : إن

وجه المرأة وصوتها ليس بعورة ... حدثت ضدي مظاهرة صاخبة . وسمعت طالباً يقول لزميله : كنا نحسن الظن بهذا الرجل فإذا هو شر من قاسم أمين» ...

وأسوق للقراء قصة وقعت في مؤتمر مسيحي إسلامي انعقد في استراليا .

يقول راوي القصة : نظرت فوجدت امرأة في سمت عفريت داخل قاعة المؤتمر ... كانت مغطاة من أعلاها إلى أدناها . مستخفية الوجه واليدين تطل على الحضور من وراء ثقبين في نقاب الوجه عليها غطاء من زجاج أو باغة « بلاستيك » قلت : ما هذا[1] ؟

قالوا : سيدة استرالية جاءت تحتج على ظلم الإسلام للمرأة فارتدت هذا الزي الشرعي .. عند المسلمين .

لترى النساء في استراليا ما يعده الإسلام لهن إذا انتشر في بلادهن هذا الدين . وقال لي أحد المبعوثين في لندن :

ان رجلاً انجليزياً أبدى اعجابه بالإسلام ثم قال : لكي أذهب مع امرأتي للكنيسة يوم الأحد .. فأين تذهب امرأتي إذا كنتم تمنعونها من المسجد فلا تدخله طوال الأسبوع ؟

قلت : إن ما حدث في استراليا وفي انجلترا حجة على المسلمين لا ... على الإسلام . فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان وجه المرأة عورة يجب أن تستر .. ولا ... في كتاب

---

(١) أني أنقل هذا الكلام على لسان الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي من كتابه « ضوء على تفكيرنا الديني في مطالع القرن الخامس عشر الهجرى» ص ٢٢ وما بعدها .

الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنها تمنع من دخول المساجد[1] .. .. » .

* * *

فإذا كان هذا شأن المسلمين في فهمهم للإسلام فكيف نلوم غير المسلمين إذا أساءوا الظن وجنحوا إلى الوهم والخيال .. ؟

* * *

إن الحجاب الذي يعيرنا به غير المسلمين كان معترفاً به في جميع الشرائع والأديان . وفي العهدين القديم والجديد ما يؤكد هذه الحقيقة التي تدحَضُ كل هذه الأباطيل والافتراءات الملصقة بالإسلام .

ففي الاصحاح الرابع والعشرين من سفر « التكوين » .

وخرج اسحاق ليتأمل في الحقل عند اقبال الماء .. فرفع عينيه ونظر .. وإذا جمال مقبلة ... ورفعت « رفقة » عينيها فرأت اسحاق .. فنزلت عن الجمل : وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا ؟

فقال العبد : هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت ..

* وفي الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر « التكوين » أيضاً .. أن « ثامار» مضت وقعدت في بيت أبيها . ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها .. وتغطت ببرقع وتلففت .

---

(١) المصدر السابق

* وفي الاصحاح الثالث من سفر « أشعيا » أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب » .

* ويقول بولس الرسول في رسالة «كورنثوس » الأولى ـ الاصحاح الحادي عشر « .. هل يليق بالمرأة أن تصلي إلى الله وهي غير مغطاة .. ؟

أم ليست الطبيعة تعلمكم أن الرجل ان كان يرخي شعره فهو عيب له ...

وأما المرأة ان كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطى لها عوض برقع » ...

* * *

لقد جاء الإسلام والحجاب موجود في كل مكان ... كان عند اليونان ... والرومان ... وكان الرومان ـ مع تساهلهم في هذا الأمر ـ يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات قبل ميلاد المسيح بمائتي عام . ومنها قانون عرف باسم قانون أوبيا .

يحرم عليها الزينة في البيوت وفي أي مكان .

كان الحجاب في كل الحضارات السابقة قبل ظهور الإسلام مظهراً من مظاهر الاعتزاز بالمرأة حينا .. أو اتهامها حيناً آخر .. ولم يكن يترك إلا في حال اهدار قيمة المرأة واعتبارها نوعاً مـن الكائنات التي خلقت للخدمة شأنها في ذلك شأن السائمة والبهيمة .

جاء الإسلام والحجاب في كل مكان من الدنيا فتصرف معه كما

تصرف في غيره من التقاليد والعادات بما يلائم مصلحة الإنسان والمثل العليا فلم يجعله كما كان عنواناً لاتهام المرأة ، أو عنواناً لسيطرة الرجل واعتبارها جزءاً من ممتلكاته يتصرف فيها كما يشاء تبعاً لهواه ومصلحته . بل جعله أدباً خلقياً واجب الاحترام والالتزام من الرجل والمرأة .

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . ذلك أزكى لهم ... » .

(سورة النور — ٣٠)

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ... » .

(سورة النور — ٣١)

* * *

يقول « الكشاف » وهو من التفاسير المتقدمة :

فإن قلت : لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة ؟

قلت : لأن سترها فيه حرج . فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ، ومن الحاجة إلى كشف وجهها . خصوصاً في الشهادة ، والمحاكمة والنكاح ، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها . وخاصة الفقيرات منهن . وهذا معنى قوله ... إلا ما ظهر منها ... يعني إلا ما جرت العادة على ظهوره والأصل فيه الظهور .

* * *

والمتأخرون من المفسرين على مثل ذلك الفهم للزينة التي يجوز

إظهارها ، ومن أحدثهم الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى صاحب تفسير ـ الجواهر ـ حيث يقول :

إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب في الكف وكالوجه والقدمين .. ففي ستر هذه الأشياء حرج عظيم فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ، ومن الحاجة إلى كشف وجهها ... لا سيما في مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك ... وهذا كله إذا لم يخف الرجل فتنة . فإن خافها غض بصره .. »[1] .

فالمفهوم من الحجاب على هذا واضح .. فليس المراد منه اخفاء المرأة وحبسها في البيوت ، لأن الأمر بغض الأبصار لا يكون مع إخفاء النساء وحبسهن وراء جدران البيوت وتحريم الخروج عليهن لمزاولة الشؤون التي تباح لهن ...

ولم يكن الحجاب كما ورد في جميع الآيات مانعاً في حياة النبي عليه السلام أن تخرج المرأة مع الرجال إلى ميادين القتال ... ولا أن تشهد الصلاة العامة في المسجد ولا أن تزاول التجارة ومرافق العيش المحللة للرجال والنساء على السواء ..

فلا حجاب إذن في الإسلام بمعنى الحبس والحجر والمهانة .. ولا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضي المصلحة .. وإنما هو الحجاب ... مانع الغواية ... والتبرج .. وحافظ الحرمات وآداب العفة والحياء ... »[1]

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٧ طبعة دار الهلال .

إن موضوع الحجاب أو النقاب لا يستحق من مفكري الغرب كل هذه الضجة .. أنهم يفعلون هناك ما هو أكثر غرابة وسخرية . لقد غيروا من خلقة الله في كل شيء .. تداخلت الصور والأشكال حتى لاتكاد تميز هناك بين بعض الرجال والنساء جنس ثالث يخرج إلى الحياة بلا هوية .. لقد تحول الإنسان إلى مادة للتجارب في معامل هذه الحضارة التي فقدت مبررات وجودها وبقائها في هذه الدنيا ..

قلت لطالبات جامعة « سان دي فنسنت » للبنات بمدينة سيدني : أنكن تعبن على المرأة المسلمة «تحجبها» . ترون فى هذا الحجاب تخلفاً ورجعية . فماذا تقلن عن السيدة « مرجريت بوستار» الفرنسية التي ذهبت إلى أول حفل تكريم أقيم على شرفها بمناسبة انتخابها عضوًا فى الأكاديمية الفرنسية لقد ذهبت إلى هذا الحفل «متحجبة» . فاجأت الحاضرين في الحفل « بالحجاب » الذي تحرص عليه كل مسلمة محافظة وحين سئلت عن سبب اختيارها لهذا الزي قالت :

ـ إني مقتنعة به تماماً فهو يضفي على المرأة وقاراً وجمالاً وحشمة ..

فإن كنتم لا تلومون العراة والعاريات في نوادي « الجنس » المنتشرة في أرجاء الولايات المتحدة وأوروبا .

فلماذا تصبون اللوم على المرأة المسلمة التي ترى في هذا الزي جمالاً وعبادة وحشمة ؟

* * *

إن أخطر أنواع « الحجب » كافة هي تلك « الحجب » التي تفرض على العقول « حجاباً » يحول بينها وبين التفكر .. وتحجب عن البصر .. والبصيرة رؤية الحقيقة المتألقة بنور الجمال والخير ..

ولكن الغرب لم يزل ــ بكل أسف ــ خاضعاً لمواريث القرون الوسطى تجاه الإسلام ..

لا تزال محاكم « التفتيش » بكل ما عرف عنها من ضراوة وقسوة ــ لا تزال هذه المحاكم تصدر أحكامها إلى اليوم في كل ما يتصل بهذا الدين .. قيماً .. وأخلاقاً وحضارة .

.. إن رؤية امرأة محجبة تثير فى أنفس هؤلاء كل أحقاد العداوة الصليبية .. أن المعنى في تحجب المرأة هو حفاظها على الدين والعقيدة .. وما دامت المرأة المسلمة متدينة ومحافظة على الدين والعقيدة فإن ذلك يعني فشل خططهم الشيطانية . وإفساد ما دبروه في ليل الفساد والجريمة ..

لهذا .. فإنهم يشجعون تبرج المرأة ، وخروجها على تقاليد الدين والأسرة .. يفعلون ذلك تحت شعارات زائفة من التقدم والحرية .

يقول « سلامة موسى » من دعاة التبشير والصليبية :

إن من علامات التحضر أن يعرف الرجل وأن تعرف المرأة الرقص الغربي . وأن يمارساه بالفعل ..

ويقول آخر « منهم » طبعاً ..

« العفة والبكارة وأمثال هذه المفاهيم إنما هي من علامات التأخر .. »

إن هؤلاء المبشرين لا يؤمنون بدين أبداً .. ؟

إن المسيح يطالب من نظر إلى امرأة بشهوة أن يخلع عينه ويلقيها في الطريق .. فكيف ينسب إلى المسيح من يطالبون الرجل والمرأة بممارسة الفاحشة والشذوذ علانية ؟

ولهذا فإن التعليم عند « المبشرين » هو حجر الأساس والقاعدة

في هذه الأوكار التي كتب عليها اسم مدرسة ... في هذه الأوكار .. يتم الإغراء بأساليب خسيسة . وإن كانت تتسم بالذكاء واليقظة ..

ويرى المبشرون أيضاً : أن يكون التركيز على أبناء الأسر الكبيرة فهؤلاء سيكونون حكام المستقبل . فإذا وصل هؤلاء إلى السلطنة أمكن السير في مخططنا إلى نهايته دون معارضة ..

أما بالنسبة لتعليم البنات . فذلك يمثل درجة بالغة الأهمية وبخاصة في المدارس الداخلية . ويفرح المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء يكون في بيوتهن أعظم . (كما هو الحال بالنسبة للبنين أيضاً) .

وتقول المبشرة « أنا ميليجان » ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من مثل هذه المدارس للبنات خاصة ..

وفي هذا تقول السيدة « صافيناز كاظم » في مقال نشر لها في « مجلة الهلال » .

كنت أجلس على شاطئ رأس البر في الأسبوع الأخير من شعبان . لا أرى فتاة تخطت الثانية عشرة تلبس « المايوه » . البحر مليئ بالأطفال كأنه قد خصص لهم وحدهم . الأمهات كلهن محجبات يجلسن على الشاطئ وبعض الفتيات والشابات ينزلن البحر بالبنطلون و« البلوزة » أو جلباب سميك طويل : منظر يزعج بلا شك رواد الدعوة لمحاكاة أوربا وخلفاءهم ممن تمنوا طوال الخمسين سنة الماضية أن يروا شواطئنا نسخاً منقولة من شواطئ « الريفييرا » و« ميامي » وشواطئ اليونان وإيطاليا وبيروت قبل الحرب ورغم الحرب .

ولذلك جلست مبتسمة ابتسام المنتصر : رغم كل شيء ينتصر

الضمير الإسلامي في كنانة الله ، ويتفتح الوعي رويداً رويداً بالعقيدة الهوية : « الايديولوجية الإسلامية » ويقرر المصريون أن تعكس شواطئهم أحكام دينهم .

« الحمد لله » قلتها وقلبي يقفز مع الأمواج جذلاً ..

أذكر منذ ثلاثين عاماً ـ وهذا يعني عام ١٩٥٣ وأنا لم أتجاوز بعد السادسة عشرة من عمري أن قرأت بمجلة روز اليوسف مقالاً للأستاذ احسان عبد القدوس يبدي فيه العجب والتعب لأنه كان يجلس على أحد شواطئ الإسكندرية الرفيعة ووجد شابة لا تنزل البحر ـ رغم كونها متعلمة ومستنيرة ، لأنها ترى أن لبس « المايوه » أمام الرجال : حرام .

وتساءل وقتها الأستاذ عبد القدوس : هل لا يزال بيننا عقليات تفكر بهذا المنطق ؟

وقتها لم أكن ألبس المايوه ، ولا لبسته بعدها ، لكن لا شك أن تساؤلات الأستاذ احسان عبد القدوس وجيله من الكتاب العلمانيين كانت تحفر نفسها في عقلي وعقل جيلي وتسرقنا بأنظارنا نحو الغرب ونماذجه بحيث كان جيلي يشعر أن واجبه الوطني ازاء مصرنا المحروسة هو : أن نصنع من أنفسنا لها ، نتاجات مصبوبة في قالب النموذج الأوربي أو الأمريكي أو السوفيتي .. وعندما ظهرت وقتها ـ أو بعدها بعام كاتبه فرنسية شابة اسمها « فرانسواز ساجان » أصدرت وعمرها ثمانية عشر عاماً رواية « صباح الخير أيها الحزن » تحكي فيها تجربتها العاطفية والجنسية الجريئة : أزعجونا لسنوات تبكيتا ومعايرة لأن مصر لم تخرج حتى ذلك الحين نصف أو ربع فرانسواز ساجان ،

حتى أننا كنا نسير مطأطئات الرأس يشملنا شعور بالخيبة و« الخيانة الوطنية » عندما تعدينا الثامنة عشرة وشارفنا العشرين من دون أن نمر بتجارب فرانسواز ساجان وبالتالي لم نكتب أي صباح خير للحزن أو حتى مساء خير : واكتفينا بأن نقص شعرنا ونرتبه مهوشا نازلاً على أعيننا التي نرسم فيها تعبير حزن وهم بلا سبب اللهم الا سبب أن أنوفنا ليست طويلة بما يكفي لاستحضار شبه فرانسواز كاملاً .

كانت القيادات الفكرية في مطلع شبابي في الخمسينات ثم أوجه في الستينات ، كانت كلها قيادات علمانية ـ أبناء الرواد العلمانيين التغريبيين أمثال لطفي السيد وقاسم أمين وسلامه موسى ـ ممن تمت سرقة أنفسهم ، بوعي منهم أو بلا وعي ، نحو محاكاة الغرب بكل أجنحته ، وكانوا يشغلون المواقع المؤثرة فى الإعلام والنشر والتوجيه . وكانوا يريدون أن يحققوا بجيلنا ما لم يستطيعوا أن يحققوه هم في سبيل الابتعاد عن تقاليد الإسلام وتصوراته ورؤاه : ليأتى بعد ذلك د . لويس عوض ليقول إننا في نهضتنا لسنا سوى ناقلين عن الغرب حتى في ثورتنا واحتجاجنا على الغرب .

ولا شك أنهم لم يلصقوا فوهة المسدس بين أعيننا لكي يرغمونا على الانصياع لأفكارهم ، لكنهم فعلوا كل ما بوسعهم ليحبذوا ويزينوا ويعظموا النموذج الغربي وعلى وجه الخصوص النموذج الغربى للمرأة التى اصطلح عليه بالاسم الحركى :
« المرأة العصرية » ..

كانت هذه الكلمة « المرأة العصرية » هي الآلة الجهنمية لنزع المخ والتى تم تسليطها على جيلنا بإلحاح . وأعترف أننى ـ مع إيمانى

المتأصل بالإسلام دوماً ـ كنت في تلك السنوات من أشد المستجيبين لنداءات هذه الآلة الجهنمية لنزع المخ ، وهذا الذي جعلني بعد تخرجي في الجامعة عام ١٩٥٩ اندفع لأقوم بتجربة « الاوتوستوب » لأرى هل يمكن للفتاة العربية المسلمة أن تلف العالم بملابس الكشافة مثل الفتاة الأوربية «الشجاعة» دون أن تتكلف شيئًا يذكر وذلك مع الحفاظ على تقاليدى كعربية مسلمة ؟ .. وكانت تقاليدى كعربية مسلمةٌ تعنى لدى : الالتزام بالصلاة وتجنب الخمر والخنزير والمحرمات بين الرجل والمرأة ، وعدت من الرحلة وقد اعتبرتها ناجحة إذ حافظت فيها على ذلك المدلول الضيق الذى حددته لمعنى «تقاليدى كعربية مسلمة » وكتبت التجربة فى سلسلة تحقيقات صحفية حينذاك تحت عنوان مثير هو : أجرأ مغامرة صحفية لعام ١٩٥٩ » أتذكر هذا العنوان الآن وأشعر بالخجل وألحظ كمية التشجيع الذى كان يحرزه الخطأ . وحين أرجع بنظرة نقدية لإعادة تقييم هذه التجربة أجد أننى خرقت بها أصولاً وحدودًا اسلامية كثيرة ما كان ينبغى أن أخرقها لو أننى انطلقت وقتها من تصور اسلامى كامل وسليم .

وكان يجب أن تستوقفني أول بديهية اسلامية وهي : عدم جدوى هذا اللغو من التعب والجهد حيث كان يجب أن أصرف جهدي وطاقتي في معرفة ديني بشكل أعمق وألتزام بعقيدتي التزاماً سلوكياً يمكنني من تحرير نفسي وعقلي من الغزو المدمر لشخصيتي والمعادي بالتالي لمصلحتي على المستوى الفردي ومصلحة وطني على المستوى العام . ولقد خرجت من هذه التجربة الحمقاء بألم حاد مستمر في كتفي اليمنى نشأ عن حمل حقيبة الظهر الثقيلة التي كنت أحمل فيها متاعي . وكلما ألح علي ألم هذه الكتف أحمد الله وأسأله أن

يكفر بعذابي هذا ذنب استِجابتي لآلة نزع المخ الجهنمية[1] .

* * *

في عام ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلم إلى الآستانة يزور حليفه السلطان العثمانى فأرسل إليه الأتراك سربًا من الأوانس سافرات الوجوه بالزى الأوربى يقدمن له باقة زهر فتقبلها القيصر منهن ولم يقل شيئًا ..

ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال له : يا طلعت أرسلتم لى بعض صبيات تركيات بالزى الأوربى يقدمن لى باقة

ثم قال له : طلعت اعلموا أنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول الا بالإسلام ... أنتم لستم ذوى ثروة ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوربية ولكنكم معدودون من الدول العظام بسبب واحد هو أنكم على رأس الإسلام ، والإسلام مئات من الملايين .. فإذا أبحتم السفور لنسائكم وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الإسلامى الذى كل أهميتكم قائمة به ونفر منكم المسلمون .

فلا تفعلوا هذا ، فإنكم تصبحون على ما فعلتم نادمين ..

ثم ان الشرشف عندكم شيء جميل ، فلماذا تعدلون عنه ؟

وهو لباس اقتِصادي يستر المرأة ويغنيها عن اتخاذ فستان كل ثلاثة شهور مرة وأنتم لا تقدرون أن تبذخوا بذخ الأوروبيين » .

هذا ما قاله ويلهلم لطلعت ..

ثم قال للأمير سعيد حليم وأوصاه بالمحافظة على التِقاليد الإسلامية القديمة وقال له :

---

(١) مجلة الهلال ـ يوليو ١٩٨٣ .

نجاتكم إنما هي بها ، وقال له :

«أنا وبعض بيوتات فى بلادى نحافظ على تقاليدنا القديمة ولكن قد غلبت علينا المآخذ الجديدة التى أخشى بها فساد المجتمع الأوربى كله» .

* * *

« ولكي نعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر [1] شيئاً مهما هو أنْ كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أي بعد الاحتلال البريطاني بعام واحد لمحام مصري موال لكرومر وللنفوذ الأجنبي يدعى «مرقص فهمى» تحت عنوان «المرأة فى الشرق» صور فيه خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق خمسة أغراض :

(١) القضاء على الحجاب الإسلامي .
(٢) اباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .
(٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي .
(٤) منع الزواج بأكثر من واحدة .
(٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وكان هذا المخطط هو النواة للنفوذ الأجنبي الذي تدرس على ضوئه « حركة قاسم أمين » وهدى شعراوي ، ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها ، فما هي هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير .

---

(١) حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام الأستاذ أنور الجندي ص ٢٦ وما بعدها دار الأنصار ـ القاهرة .

أولاً : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة في ٤ يناير ١٩٢٨ مقالاً :

قال فيه ان قاسم أمين قرأ كِتاب الدوق داركور « المصريون » ورد عليه بكِتاب باللغة الفرنسية وفند اتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن في صف النهضة النسائية فقد رفع الكِتاب من شأن الحجاب وعده دليلاً على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلي فاضل تعريضاً بها . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلي فاضل لها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولي السلطة في مصر تحت قيادة النفوذ البريطاني وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعاً :

وقد أشير على جريدة المقطم ـ وهي لسان الانجليز في مصر ذلك الوقت ـ أن تكتب ست مقالات عن الكِتاب تفند أخطاء قاسم في هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ، واستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في « الرواق العباسي » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله .. وقد ترددت اراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكِتاب أو كان له دور في مراجعتها . ومما أورده لطفي السيد أنه اجتمع في جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول ، وان قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالاً في مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

« انه ظهر كِتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعنا مرا ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتِهن في المجتمع . فتطوع قاسم أمين للرد على كتابه ..

ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها الا ندرة في مصر .. هذه الحقيقة ان كِتاب قاسم أمين الذي رد فيه على « دوق داركور» لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة نازلى .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ويعده دليلاً على كمال المرأة . ويندد بالداعيات إلى السفور واشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كِتابه هذا ساء ما به اخوانه من أمثال محمد المويلحى ومحمد بيرم ، وسعد زغلول ، ورأوا فيه تعريضاً جارحاً بالأميرة نازلي ، تشاوروا فيما بينهم في الرد واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصاً بالمرأة ، وبدأت في كِتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد لم يرق في نظر قضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم .. لأن قاسم أفندي كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكي أكف عن الكتابة ان مؤلفه يرجو الأميرة نازلي فاضل لكى تطلب إلىّ ذلك .. وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة . وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي .. وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده

مع الأميرة فى هذا الشأن .. فالتفتت إليَّ سموها وقالت لى : انها لاتجد بأساً في أن أكف عن الكتابة في الموضوع .. وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف انه يشمل الطعن فيما تدعو إليه .. فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : انه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها .. فبدت الدهشة عليها . وكانت احدى نسخ الكتاب موجودة عندها .. وعبثاً حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف .. فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط في هذا الموضوع .. ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة .. فقبلت اعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها .. وكلما مرت الأيام ازدادت في عينه وارتفع مقامها لديه .. وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلى . والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب » .

انتهى كلام فارس نمر :

ثالثاً : أشارت هدى شعراوي في محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذي ظل خافياً زمناً طويلاً ولم يكشف الا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة .

غير أن الذي يلفت النظر ان قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق .. وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين في حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التي كان يصدرها المحامي محمد

أبو شادي حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئاً في (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة .. هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » في أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

« لقد كنت أدعو المصريين إلى تمزيق ذلك الحجاب ، والى اشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والاسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي .. رأيتهم ما مرّت بهم امرأة أو فتاة الا تطاولوا إليها بألسنة البذاء . ثم ما وجدت زحامًا فى طريق فمرت به امرأة الا تناولتها الأيدى والألسن جميعًا .. التى أرى أن الوقت ليس مناسبًا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذي نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التي جاءت استدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهي الدعوة إلى تربية الخلق والايمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق .. أو ربما ان قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلي فاضل « ربيبة كرومر » ان يتخفف من هذه التبعة .

وربما كان لبعض التجارب أثرها في نفسه .. فها هو يروي ان صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك .. فدهش قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته . فقال صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتًا . ومما يذكر ان السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن ان دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدي :

ان دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

ونعت الدكتورة بنت الشاطئ ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسمته مهزلة أليمة موجعة .. تقول بنت الشاطئ :

« ان الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا اننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا .. ذلك ان الرجال زيّنوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا الا ليحاربوا بنا السآمة والضجر في دنياهم » .

ثم قالت بنت الشاطئ :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور . ويكفي أن أشير في ايجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا . وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيت ووظيفتها في الخارج » .

ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركوا للخدم . وقد نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير في فهم روح النهضة .

وبلغ من سوء ما وصلت إليه ان نادت مناديات بحذف نون النسوة في اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة .. يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا ان المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج .

انتهى كلام الدكتورة بنت الشاطئ .

* * *

ويقولون : إن المرأة الشرقية (والمسلمة خاصة) تعاني من الكبت الناجم عن العزلة الاجتماعية وعدم الاختلاط ، وأن المجتمع يفقد بهذا العزل التعسفي أجمل ما فيه من بهجة وانطلاق ...

يقول صاحب كتاب « معركة التقاليد » في الرد على هذا الادعاء .

أين توجد هذه الصورة الجميلة الرفيعة التي يتحدث عنها دعاة الاختلاط ؟

في الغرب ؟ في الشرق ؟ في مصر ؟ في أي بلد من بلاد الأرض ؟

هل أمريكا تعاني الكبت الجنسي بسبب عدم الاختلاط ؟

ما بالها إذن تعج بالفضائح الخلقية ؟ الفضائح التي يصل الأمر بهذا المجتمع المنحل ذاته أن يصفها بأنها فضائح ويبحث لها عن علاج .

وما بالها تعج بالشذوذ الجنسي ؟ وما بالها تعج بحوادث الطلاق التي تزيدنسبتها عن أي بلد آخر على ظهر الأرض ؟ ولعل دول الشمال في أوروبا ينقصها الاختلاط أو التهذيب أو التوازن الاقتصادي أو الاستقرار السياسي أو أي أمر من الأمور ؟

فما بال التحلل الخلقي هناك شنيعاً إلى أقصى حد ؟ الطالبة تذهب بنفسها إلى بيوت الطلبة لتستذكر معهم الدروس وتشاركهم الفراش ومعها ــ قبل أن تذهب ــ وسائل منع الحمل من أدوات وأقراص .

أين هو الشبع الذي يحدثه الاختلاط ؟ فيغني عن العمل الجنسي الكامل بل يغني عن الاسراف فيه ؟ الذي حدث في أوروبا وأمريكا هو العكس .. حدث سعار جنسى مجنون . كل الذى حدث هو التحايل للحصول على المتعة المحرمة ، والمعاكسة في الطرقات وهذه لم تختف ترفعاً وإنما اختفت من شدة التيسير بين الفتى والفتاة ..

فهل هذا الذي نريده ؟ أو هذا الذي ندعو إليه إن كنا في دعوتنا مخلصين ؟

هل التهذيب في عرفنا هو الذي نراه في الغرب ؟ هل حين تختفي المعاكسات نعتبر أن المجتمع قد تنظف وأننا صرنا فضلاء ولو كانت البيوت والنوادي والطرقات أحياناً تتحول إلى مواخير ؟

ليس للاختلاط غير هذه النتيجة في كل التاريخ .. كذلك كان في أثينا القديمة وفارس القديمة والهند القديمة .. وكذلك هو اليوم بعد مئات السنين من التقدم والتطور والمدنية . وحين أوازن بين كل « المضار» التي ينشئها عدم الاختلاط وكل « التهذيب » الذي يحدثه

الاختلاط فأنا أختار الأول بلا تردد ولا حاجة إلى مزيد من التفكير ـ وهذا هو رأي الإسلام ـ

الإسلام الذي جاء ليحفظ المرأة من التبذل ، ويحفظ المجتمع من التحلل ويحفظ الإنسانية من الهلاك والدمار .

* * *

لقد أساءت المرأة إلى نفسها ، وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها . فقد كانت ريحانة تشم . فأصبحت مشكلاً يتطلب الحل . وكانت عرضاً يصان وأمانة تحفظ . فأصبحت حملاً ثقيلاً يضيق به الأب والأخ والزوج .

وفي الوقت الذي يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها . كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن تأخذ في ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشاكل ومآسٍ وهزات تعرض أمته وسلامته للخطر .

بل ان كاتبة مصرية ذهبت إلى أبعد من كل هذا فطالبت بإلغاء كل القوانين التشريعية سواء أكانت هذه القوانين إسلامية أو غير إسلامية .. والقوانين التي تطالب بإلغائها هذه الكاتبة الصحفية هي قوانين الإرث والطلاق والنفقة والحضانة وتعدد الزوجات .

ومن العبث ـ كما تقول هذه الكاتبة ـ ان نتوقع خيراً قبل أن نقضي على هذه التشريعات ونسوي بين الرجل والمرأة في الميراث [1] ..

تُرى بأيّ لسان كانت تتكلم هذه المرأة؟ وهل الخروج على الدين والتقاليد هو الهدف مما يسمّى بـ «تحرير المرأة»؟

(١) أمينة السعيد في مقال نشر لها بمجلة الهلال عدد يناير ١٩٥٥ .

فى الستينات زارت الكاتبة الأمريكية « هيلين ستانبرى » مدينة القاهرة . وفى مؤتمر صحفى سألها أحد المحررين بصحيفة الجمهورية عن رأيها فى المرأة المصرية والمرأة الأمريكية . فأجابت قائلة :

ان المجتمع المسلم مجتمع كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الشاب والفتاة ـ في حدود المعقول ـ إن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكى . فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الاباحية الغربية التي تهدد المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا . ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع الإسلامي على الفتاة الصغيرة ـ وأقصد ما تحت العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة ، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة . بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من الإباحية والانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا . ! ! !

امنعوا الاختلاط . لقد عانينا منه في أمريكا الكثير ولقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة . وان ضحايا الاختلاط والحرية يملئون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية .

ان الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق .. فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص التشاتشا وتشرب الخمر وتدخن السجاير بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية .

والعجب بل والعجيب في أوروبا وأمريكا ان الفتاة الصغيرة تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها بل وتتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها . تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ، وتتحداهم باسم الإباحية والحرية والانطلاق . تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من امضاء وعشرين قرشاً وعريس لليلة أو لبضع ليال . وبعدها الطلاق وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى .

ولا حول ولا قوة الا بالله ...

* * *

وفى هذا الحوار مع طالبات جامعة سان دى فنسنت ... بمدينة سيدنى تتجلى هذه الحقيقة وتتحدى .. ويتصدى الإسلام ـ بقيمه ومثله ـ للبعث والمجون والفوضى ..

سقوط الأقنعة !!!

لازمت الفراش بسبب نزلة برد شديدة ... وانقطعت عن العمل مدة عشرة أيام كاملة . كان « الراديو » هو تسليتى الوحيدة ، وكانت إذاعة البرنامج العام هى رفيق فى هذه الاجازة .

وذات يوم نهضت من الفراش ... وضغطت على مفتاح الجهاز ... ما هذا ؟ مستحيل أن يكون هذا الصوت قادما من القاهرة .. ؟ من موسكو ؟ أعتقد أنها إذاعة موسكو العربية .. فالعبارات تفوح رائحتها بالأيدلوجية الكريهة .. ! وكلمات : امبريالية .. وتقدمية .. ورجعية التى سمعتها لأول مرة منذ أربعين عاما على لسان بعض الشيوعيين فى مقهى « زهرة إيران » الذى كان معروفا بحى خان الخليلى تكررت على لسان المتحدثة أكثر من مرة وعدت لأتاكد من ضبط المؤشر.. يا للكارثة .. ! أنها إذاعة القاهرة . والصوت الذى أسمعه كان صوت امرأة شيوعية معروفة ! ومقدمة البرنامج كانت من السذاجة بحيث لا تعرف الفرق بين حرف الألف فى اللغة العربية وبين أعمدة الكهرباء فى شوارع القاهرة !!!

وفجأة وجدتنى أنتفض من الدهشة .. وأتجه إلى جهاز « التليفون » لأطلب رئيس الإذاعة وأحدثه عما سمعت من افتراءات على الإسلام وموقفه من قضية المرأة .

لقد أمر الرجل بإيقاف البرنامج .. كما أمر بإجراء تحقيق مع المسئول عن تقديمه على هذا النحو الشيوعى الصارخ ...

هل تصدقون .. ان « الحجاب » اختراع « امبريالى » روج له الأستعمار فى البلاد الاسلامية وهل تصدقون ان دول الغرب الصليبية تقف من وراء « الصحوة الاسلامية » لتكون مخلب قط فى مخططاتها الاستعمارية ؟!

وهل تصدقون أن حفاظ المرأة المسلمة على شخصيتها وعلى تقاليد دينها مظهر من مظاهر التخلف والرجعية وعقبة فى طريق التطور ورفع مستوى الانتاج فى الدول الفقيرة ....

لقد سمعت هذا كله فى الحوار مع هذه المرأة الشيوعية . وهى شيوعية معروفة فى تحيزها للاتحاد السوفيتى أى الوطن الأم كما أنها عريقة فى الهجوم والتشنيع على أمريكا أو « الوحش الرأسمالى المستغل » .. ! آمنا ... وصدقنا ... !

ولكن تعالوا معى لتروا عجبا . ولتروا كيف أصبح هؤلاء الشيوعيون لأمريكا ذيلا .. وذنبا ! !

* * *

فى القاهرة ... وفى الفترة ما بين أول سبتمبر ١٩٨٦ إلى الثالث من هذا الشهر عقد مؤتمر نسائى فى فندق « هيلتون » .. ! يعنى فندق أميركى ... ! ! وكان هذا المؤتمر تحت عنوان « المؤتمر الدولى للتحديات التى تواجه المرأة العربية فى القرن العشرين » وكان شعار هذا المؤتمر « قوة النساء . التضامن . رفع الحجاب عن العقل » ...

الذى حدث هو العكس .. فقد وضعت كل واحدة منهن حجابا على العقل . والعين والقلب ... ! !

* * *

سأكتفى بنقل وقائع هذا المؤتمر كما كتبت فى الصحف لا أعنى الصحف القومية . بل أعنى الصحف ذات الصبغة الشيوعية أو تلك التى تبتعد عنها بمقدار درجة أو درجتين بمقياس « رختر» المعروف فى قياس قوة الزلازل التجريبية .

* * *

ولنبدأ بمجلة « روز اليوسف » .....

لقد سجلت هذه المجلة وقائع هذا المؤتمر تحت عنوان « خناقة النساء فى الغرفة رقم (١١) فماذا قالت هذه المجلة :

كان كل شىء يسير طبيعيا .. حتى تفوهت د / نوال السعداوى بذكر أسماء الهيئات والمؤسسات التى « تجرأت » وساهمت فى تحمل تكاليف المؤتمر الأول للمرأة العربية الذى عقد أول هذا الشهر بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ..

قامت الدنيا ولم تقعد لأن من بين المساهمين إحدى الشركات الأمريكية .. وهذا يعنى العمالة وبيع القضية والامبريالية وعدوان الشركات متعددة الجنسية ...

بحت الحناجر بعبارات الاستنكار ، وسالت الدموع من العيون .. لتأبين

المرأة العربية وقراءة الفاتحة على روح شهداء القضيه الفلسطينية !

و.....

تحول الفرح إلى مأتم جاءت الضربة هذه المرة من « النسوة التقدميات » ... رغم أن المؤتمر رفع شعار « رفع الحجاب عن العقل » .. وكان متوقعا أن تكون الردة من أهل اليمين وليست من سيدات اليسار ...

وخرجت المرأة العربية فى أول امتحان حقيقى لها لتقول للرجال « المتربصين » بقضيتها : كانت خطواتنا الأولى « للخلف در » !

هذا المؤتمر الذى رفع شعار مناهضة الامبريالية قبل دعما امبرياليا ... فهل الشركة الممولة من السذاجة بحيث تدفع أموالا لإنجاح مؤتمر ينادى بالقضاء عليها ؟!

ردت السودانية فاطمة باباك : لقد عانينا كثيرا مشقة السفر للحضور إلى القاهرة أملا فى حضور مؤتمر تاريخى هام .. وليس المهم الآن كيف يمول المؤتمر .. ولكن الأهم هو أن ننجز ما جئنا من أجله .. ولو ضاعت الفرصة سيحكم على جيلنا كله بالبلادة ، لأننا تركنا الأصل وتشبثنا بالهوامش . ؟! عجبا ... !!

علق صوت غاضب : ازاى يعنى تيجى اسرائيل تمولنا وأقول ميهمنيش ؟

وقالت فتاة شابة كست نبرات صوتها بالمرارة : أنا فتاة من جيل الزمن الردئ .. خبرتى علمتنى ألا أعتمد على أى شخص مهما كان تاريخه .. فمنطق

الزمن الردئ هو الشك فى كل شىء وعدم الثقة بأى شىء وأنا لا أثق فى أى أحد . معها حق ..!

و...

سادت لحظات هدوء .. أعقبتها مفاجأة الكاتبة السورية حميدة نعنع .

قالت بغضب : أنا ضد أى شكل من أشكال التمويل الامبريالى الأمريكى .. جسدى ينتفض حتى لو سمعت اسم « اليزابيث تايلور » لأنه لم يعد فى الجسد العربى ولو جزء صغير فى حجم الدبوس لم تنله المؤامرات الأمريكية .

ولهذا ....

أقدم استقالتى من الجمعية « وأخرجت استقالة مكتوبة قدمتها للدكتورة نوال السعداوى » وأضافت : هذه الخطيئة الصغيرة تبدد كل شىء ، لأن قبول الدعم المادى الأمريكى « صعب كتير » ... وروسيا ... أيضا ؟!

وتقول « صحيفة الأهالى » عندما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هذا المؤتمر أجابت د . نوال السعداوى ـ رئيس المؤتمر ، ورئيسة جمعية تضامن المرأة العربية ، أن هناك بالفعل جهات أجنبية ، قامت بتمويل المؤتمر ، فقد أرسلت رسائل إلى ما يقرب من مائة جهة طلبا لتمويل المؤتمر ، واستجابت لها ثلاث جهات فقط هى : جمعية « نوفيك » الهولندية ، ومكتب مؤسسة « فورد فونديشن » الأمريكية بالقاهرة ، ومكتب « اكسفوان » الأجنبى بالقاهرة .

وأضافت د . نوال أن مكتب مؤسسة فورد فونديشن بالقاهرة ـ الذى

تترأسه بربارا إبراهيم زوجة د . سعد الدين إبراهيم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، هو الذى تحمل نفقات سفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقى النفقات .

وقالت د / نوال ـ فى كلمتها ـ إن مكتب هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة « الايد » سوف يتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والانجليزية لأهم الأبحاث والدراسات التى نوقشت فى لجان المؤتمر وذكرت أن مساعدات هذه الجهات لم تكن مشروطة بحال ، ولم تتدخل فى أعمال المؤتمر أو اختيار المدعوات ، ولم تفرض أية مطالب أو توصيات على المؤتمر ومن ثم فلا مجال لإثارة الشكوك .

وهنا وقفت الكاتبة فتحية العسال عضو الاتحاد النسائى بحزب التجمع ، وأعلنت اعتراضها على كلمة د / نوال ، وطالبت بحقها فى الرد ، إلا أن د / فاطمة بابكر رئيسة الجلسة رفضت ذلك لأن الوقت قد انتهى ، فأصرت فتحية على ضرورة التعقيب « لخطورة » ما جاء على لسان د / نوال حيث إن هذه المكاتب « مشبوهة بحكم صلاتها الوثيقة بأجهزة المخابرات الأمريكية » .

حاولت بعض المشاركات التدخل لدى د / فاطمة للسماح بمد الوقت ـ ولو عشر دقائق لمناقشة ما أثارته د / نوال ـ لكن د / فاطمة رفضت رفضا قاطعا ، وانتهت الجلسة وغادرت القاعة ، وهنا أعلنت فتحية العسال انسحاب الاتحاد النسائى من المؤتمر .

وفى أعقاب انسحاب الاتحاد ، أعلنت لجنة الدفاع عن المرأة والأسرة انسحابها وكذلك مجموعة بنات الأرض المحتلة ، جمعية المرأة الجديدة ،

واتحاد المرأة الفلسطينية وعدد من أعضاء الحزب الناصرى تحت التأسيس .

كما أعلنت بعض عضوات جمعية تضامن المرأة انسحابهن من المؤتمر والجمعية معا مثل د / هدى لطفى « لعدم معرفتهن المسبقة بتمويل المؤتمر من قبل المكاتب الأجنبية » .

وبمغادرة د / فاطمة بابكر القاعة ، ومعها د / فاطمة الميرنيس ود / نوال السعداوى ـ رفض الكثير من المشاركات الخروج ، وقمن بعقد اجتماع استمر أكثر من ساعة تحدثت فيه د / ناهد طوبيا من السودان عن موقف د / فاطمة بابكر ووصفته بأنه خطأ ـ كما تحدثت عن « مسألة التمويل » بوصفها « خطأ كبير» حيث كان من الضرورى إعلان جهة التمويل حتى تستطيع الباحثات والمشاركات العربيات أن يقررن الحضور أو عدم المشاركة .

كما تحدثت د / ليلى عبد الوهاب ـ الأستاذ بجامعة بنها ـ عن موقف جمعية تضامن المرأة من المكاتب الأجنبية ، وكيف سبق لها التعاون مع مؤسسات غربية ـ وهى مؤسسة فورد على وجه التحديد ـ فى مؤتمر نيروبى عام ١٩٨٥ حيث قامت بدفع نفقات السفر لعدد من أعضاء الجمعية . وأشارت د / ليلى إلى أن عدم الإعلان عن جهة التمويل يعد « خطأ » فى طريقة التحضير للمؤتمر كما يلقى بظلال على أهدافه المعلنة ، مما يسىء للحركة النسائية العربية .. طبعا .. !!

أما السيدة « نفيسة عابد » فقد كتبت تقول فى مجلة صباح الخير تحت عنوان

« حجاب العقل أم حجاب الجسد » ؟!

كم تمنيت أن يكون مؤتمر المرأة الذى عقد أخيرا فى احدى قاعات الجامعة العربية بالقاهرة ذا نفع حقيق للمرأة وقضايا المرأة ! .. وكم تمنيت أن تهدر المرأة بنفسها الفرص الحقيقية التى تسنح لها لإبراز قدرتها على التفكير والحوار والعمل لكى تؤكد أحقيتها كما تريد ... أو بما تطالب به ! !

ولكن التمنى شىء .. والحقيقة شىء آخر ! .. فكل ما سمعته من بعض السيدات اللاتى حضرن بعض جلسات المؤتمر يجعلنى أحس بالإحباط الشديد .. كأن تتحول محاضرة أحد الأساتذة إلى محاضرة شخصية للرد على ندوة دينية أقيمت منذ فترة ونشرت بعض اضافات جديدة إلى الفكر والثقافة ... تقصد د . ف . ز الشيوعى قلبا .. وقالبا ... ؟!

ولست أدرى لماذا يهاجم الاسلام من بعض الذين يدعون أو يدّعون الدعوة إلى حرية المرأة ، أو المطالبة بحقوقها ؟! فهذا الهجوم يحمل فى طياته ما يقنعنى تماما بعدم صدق دعواهم !

لقد أعطى الاسلام المرأة حقوقها لأول مرة فى التاريخ البشرى بعد أن طال ظلمها ... ومن يجرؤ على المعارضة فعليه أن يقرأ أولا كل القوانين السابقة فى العالم الغربى والشرقى على السواء .. لقد فرض الاسلام الحقوق والواجبات على المرأة والرجل معا .. ومحاولة الادعاء بأن الإسلام يفرض قيودا على المرأة ادعاء مرفوض ، إلا إذا اعتبرنا الفوضى حرية .. لقد كفل الإسلام للمرأة مجموعة من الحقوق لم تكن لتنالها لولا الاسلام والحقيقة المؤكدة .. أن عدم تطبيق الاسلام كما شرعه الله هو الذى يجعل موازيننا تختل فنرى الأمور على غير شكلها الحقيقى !

ولست أدرى لماذا يسبب حجاب المرأة أو احتشامها كل هذا الرعب ! ... ولماذا كل تلك المحاولات للإيقاع بين المرأة وتعاليم الاسلام ؟! .

هل يعنى شعار رفع الحجاب عن العقل ـ كما قالت شعارات المؤتمر ـ رفع الملابس أيضا ؟! كنت أتصور أن رفع حجاب العقل هو دعوة إلى التعليم ومحو الأمية والثقافة والإحساس بالكرامة والآدمية .. كنت أتصورها دعوة إلى صيانة المرأة جسدا ونفسا وروحا .. ولم أتصورها أبدا معركة مفتعلة وتصفية حسابات شخصية .. وأموال مستوردة لحرب الدعوة إلى الله والدخول فى دينه ! !

وصدقونى .. أن حجاب الجسد أفضل كثيرا من حجاب العقل !

* * *

وفى تقييمه لهذا المؤتمر ، وتسليط الضوء على ما وقع فيه من مساخر يقشعر لها البدن كتب الأستاذ أحمد الملا فى مجلة آخر ساعة مقالا يكشف القناع عن هذه المأساة أو الملهاة التى أثارت كل هذا الجدل ، وأساءت إلى المرأة إساءة لا تمحى بمرور الزمن .

يقول الأستاذ أحمد :

حينما تلقيت دعوة لحضور المؤتمر الدولى عن التحديات التى تواجه المرأة العربية فى نهاية القرن العشرين والذى عقد فى مبنى الجامعة العربية بالقاهرة فوجئت ببرنامج المؤتمر وكأنما هو « منشور ثورى بإعلان الحرب على الرجال ! » فقد جاء فيه :

إن مؤتمر تضامن المرأة العربية هو أحد الأنشطة التى تستهدف الوقوف فى مواجهة موجة التعصب والرجعية التى اجتاحت العالم العربى والتى تقف وراءها وتعضدها الشركات المتعددة الجنسية وقوى الاستعمار الجديد !

(الحمد لله أنه الاستعمار الجديد بس وليس الجديد والقديم !) . وهذه الموجة من التعصب والرجعية تهدد مستقبل الشعوب العربية جميعا ! وفى الوقت نفسه توجه ضرباتها بشكل خاص إلى النساء ! (اشمعنى ؟ !) فالمرأة هى الضحية الأولى فى كل هجوم يشن على حركة تحرير الشعوب وحقوقها الأنسانية ! .

ثم يستطرد البرنامج فيقول : إن من أهداف المؤتمر دراسة مظاهر وأسباب الهجمة الرجعية والسلفية ضد حقوق المرأة وتحديد الأهداف والوسائل التى تساعد على الوقوف فى مواجهة هذا الهجوم الضارى على حقوق المرأة ومحاولات النيل من وضعها وتقوية الروابط بين النساء العربيات ليصبحن قوة فاعلة ومؤثرة حتى ينلن حقوقهن كاملة ! .

إن من يقرأ هذا الكلام لابد وأن يتصور ان هناك قوى عاتيه تهدد المرأة وان هذه القوى تضم الاستعمار والقوى الرجعية والسلفية والشركات المتعددة الجنسية وقد أخذت جميعها فى حشد الجيوش الجرارة والأسلحة الفتاكة لشن الهجوم الأخير على معاقل المرأة العربية !

ولا شك انك بعد أن تقرأ هذا الكلام ستجد الدم يغلى فى عروقك وستقف متحفزا وقد أمسكت بسلاحك استعدادا لصد الهجوم الضارى الذى تعده الشركات المتعددة الجنسية ضد المرأة ولكنك سرعان ما تكتشف من المناقشات التى ثارت فى نهاية المؤتمر بين المشتركات فيه ان هذه الشركات

الملعونة المتعددة الجنسية التى ستشن الهجوم ضد المرأة هى نفسها التى قامت بتمويل المؤتمر ودفعت لرئيسته وعضواته كافة المصروفات بما فى ذلك فواتير الإقامة فى أفخم الفنادق مع النثريات والبقاشيش !!

لقد انصب معظم أبحاث المشتركات فى المؤتمر على ما تعانيه المرأة العربية من ذل وعبودية وهوان ! فنى كلمة السيدة فاطمة إبراهيم (السودان) قالت إن الفكر المعادى للمرأة ساد بسيادة العصر الأبوى والمجتمع العبودى ثم المجتمع الاقطاعى ولا زالت المرأة فى معظم أنحاء العالم تكتوى بنيرانه !! .

وأوردت المتحدثة بعض الأمثلة الطريفة والمسلية عما كانت تعانيه المرأة قديما ولعلها أوردتها لإغاظة الرجل وتحسره على ماكان يتمتع به فى سالف العصر والأوان ! هـ .

قالت إن الكاهن عند الآشوريين والبابليين كان يجمع العذارى مرة كل عام ويبيعهن بالمزاد العلنى ! وبعد الشراء إذا لم تعجب الفتاة الشارى فمن حقه أن يردها ويسترد ثمنها ! وفى الهند كانت المرأة تحرق بعد وفاة زوجها !

وفى اليابان كانت تركع المرأة أمام الرجل وتخلع حذائه وفى انجلترا كانت المرأة تباع فى الأسواق وبلغ ثمنها فى بعض الأحيان شلنين ! .

وفى الصين انتشر نظام السرارى وبلغ عدد زوجات الامبراطور ـ كُنْ ـ ثلاثين ألف زوجه ! (فقط لا غير) .. أما العرب فكانوا أشد حزما إذ كانوا يئدون البنات .

وأضافت المتحدثة ان المرأة بالرغم من تحسن وضعها فى الوقت الحالى

إلا انها فى النظام الرأسمالى لم تنل المساواة الكاملة بعد . بينما تحققت هذه المساواة مع الرجل فى ظل النظام الاشتراكى ! .

وأوردت المتحدثة بعض الاحصائيات للمقارنة بين وضع المرأة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقالت إن نسبة النساء العاملات فى الولايات المتحدة بلغت ٢٪ من عدد القادرات على العمل بينما بلغت هذه النسبة ٩٤ ٪ فى الاتحاد السوفيتى . كما ان نسبة النساء فى المجلس التشريعى (الكونجرس) فى الولايات المتحدة بلغت ٤ ٪ بينما بلغت هذه النسبة فى المجلس التشريعى بالاتحاد السوفيتى ٣٢ ٪ لقد هللت المتحدثة لهذا البيان وفاتها ان المرأة فى الولايات المتحدة بعد ان نالت حريتها الكاملة ومساواتها مع الرجل منذ أوائل هذا القرن فضلت ـ بإرادتها الحرة رعاية منزلها وزوجها وأولادها بينما المرأة فى الدول الاشتراكية مرغمة على العمل مهما بلغت مشقته ·وقد شاهدت فى بعض الدول الأوربية الشيوعية نساء عواجيز قد انحنت ظهورهن وهن يقمن بكسح الثلوج المتراكمة فى الشوارع لدرجة من البرودة بلغت ٢٠ تحت الصفر فذكرنى هذا المنظر المؤلم بما كنا نقرأه عن أعمال السخرة ! وهنيئا للمرأة مساواتها بالرجل فى مثل هذه الأعمال الشاقة . ؟!

أما الدكتورة نوال السعداوى وهى رئيسة جمعية تضامن المرأة العربية فقد قالت فى البحث الذى قدمته للمؤتمر : إن الرجل فى مصر وفى معظم البلاد العربية لم يعد يرفض خروج المرأة للعمل لكنه يرفض خروجها للمشاركة في الأنشطة السياسية أو الثقافية . وهذه عبارة مغلوطة لأن المرأة بطبيعتها وبإرداتها الحرة لا تميل إلى الاشتراك فى الاجتماعات السياسية ـ والمرأة فى مصر لها حق الانتخاب فلنقل إلى الدكتورة كم عدد النساء ـ المتعلمات ـ اللاتى يستعملن هذا الحق ؟ !

وقد أكدت الدكتورة زينب شاهين الباحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية عدم اهتمام المرأة بالشئون السياسية وذلك فى بحثها الذى قدمته للمؤتمر وجاء فيه : « ان المرأة فى مصر تعتقد أن العمل السياسى هو من اختصاص الرجال وان انخراط المرأة فى العمل العام يهدد انوثتها ! » وفى نفس الوقت فإن المرأة تفضل المشاركة فى النشاط الاجتماعى والثقافى ولدينا فى مصر عشرات من الجمعيات النسائية التى تؤدى أجل الخدمات فى هذه الميادين التى تحتاج إلى ما تمتاز به طبيعة المرأة من صبر وعطاء وحنان .

ثم تقول الدكتورة نوال إن الدستور المصرى الذى نص على مساواة المواطنين فى الحقوق والواجبات العامة وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو الدين عاد وسلب المرأة هذه المساواة بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية إذا أخلت المساواة بأحكام الشريعة الإسلامية .

ووصفت الدكتورة القوانين القائمة على أحكام الشريعة الغراء بأنها تفتقد الأساس الأول ـ للعدالة وتقوم على التفرقة بين الناس على أساس الدين والجنس وبذلك تدخل ضمن القوانين العنصرية ـ هكذا تقول الدكتورة ـ مثلها فى ذلك مثل جنوب افريقيا أو اسرائيل (! !) ـ حيث يفرق بين الناس على أساس الدين والجنس ! ! ... ياللعار .. والجهل .. ! !

(انتهى كلام الدكتورة ! »

والواقع أننى لم أقرأ فى حياتى كلاما أشد استفزازا للشعور الدينى والوطنى من كلام الدكتورة التى واصلت طعنها فى القيم الروحية الاسلامية فقالت : نرى تحديثا من فوق السطح أو تنمية شكلية تنفق الملايين على استيراد

الكماليات أو ترميم قبة حجرية قديمة! ـ وتعنى بذلك ما تقرر من تمويل عملية ترميم قبة المسجد الأقصى المبارك فى القدس! فهل غاب عن الدكتورة أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؟ وانه فى الحديث الشريف عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى». وهل نسيت الكاتبة ان اسرائيل منذ احتلالها للقدس عام ٦٧ وهى تعمل على إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى؟.

وكيف تشبه الدكتورة معاملة المرأة فى المجتمع الاسلامى بمعاملة الملونين فى جنوب افريقيا والعرب فى اسرائيل؟! لقد كرم الله المرأة فى الاسلام فمنحها الحرية والرعاية والاحترام وأصبحت لها ذمة مالية مستقلة ولها حرية اختيار الزوج وحق التطليق للضرر ولو كان إشاحة الزوج بوجهه عنها! كما حمل الزوج مسئولية الإنفاق على زوجته ـ حتى لو كانت غنية.

إن مارددته بعض المشتركات فى المؤتمر عن المخاطر المزعومة التى تهدد المرأة العربية وما يتخيلن عن مؤتمرات دولية وأسلحة ذرية تتربص بها للفتك بمكاسبها واعادتها إلى العصر الحجرى وعهد العبودية والحريم هذه التخيلات العبيطة قد أصبحت تثير من السخرية أكثر مما تثير من الاهتمام!

والحمد لله ان النساء لم تطل عليهن هذه الخزعبلات وانتهى المؤتمر النهاية المتوقعة لمثل هذه المؤتمرات التى تحارب طواحين الهواء!

لقد احتدم الخلاف بين بعض الزعيمات والمتزعمات حول تمويل المؤتمر ودور الشركات المتعددة الجنسية فيه وعلا الصراخ والصياح والشد والجذب وتطاير الشرر من العيون واهتزت القاعة وكاد الأمر يتطور إلى تلاحم بالأيدى

ومعارك تنشب فيها الأظافر وتشد فيها الشعور . ولكن ربنا ستر ... واكتفت معظم الحاضرات بالانسحاب وانفض المولد وأسدل الستار !!!!

ويااللعار !!!!!

وبعد :

فأريد أن تعى كل مسلمة وكل مسلم أبعاد هذه المؤامرة التى تستهدف المرأة المسلمة وتحاول تجريدها من كل فضيلة ... ومن كل ماله فى هذه الحياة قوة وقيمة .

ولنتساءل جميعا ... كيف تم التنسيق بين موسكو وواشنطن فى هذا المؤتمر؟! وكيف تم التوفيق بين الرأسمالية والشيوعية فى هذا الحوار؟! وكيف تم الصالح بين القوتين العظميين بدون سبب واضح يدعو إلى إيقاف إطلاق النار؟!

إنه الاسلام ... الاسلام الذى يجاهرونه بالعداء . ولن يصاب هذا الاسلام ما بقيت المرأة المسلمة متمسكة بشريعته السمحاء ...

فلتكن المرأة المسلمة هى المدخل .. ، أو حصان طرواده الذى يصيبه فى مقتل . ولا بأس أن يقود هذا الحصان أميركى يضع على رأسه قبعة رعاة البقر ! أو شيوعى يمسك بيديه الشرشرة والمنجل !!!

المهم .. أن تنجح المؤامرة .. ويتم القضاء على شخصية المرأة المسلمة . ويمكرون ويمكر الله .. وستبقى « المرأة المسلمة » صخرة تتحطم عليها سيوف الملاحدة والمارقين فى أى اتجاه ..

* * *

فى محكمة التاريخ

دهشت كثيرا حين وجدت ناشرا واحدا للكتب يعرض فى وقت واحد ثلاثة كتب لمؤلف واحد تلك فى حساب التجارة المكتبية مغامرة غير مأمونة العواقب ، لأن الناشر وهو صاحب رأس المال حريص على أن ينتشر كتابه ويصل إلى أيدى القراء ، ومن المنطق بل يندر أن قارئا واحدا يشترى فى وقت واحد ثلاثة كتب لمؤلف واحد ، لأنه يفضل فى الغالب إذا اشترى هذا العدد أن تكون لثلاثة مؤلفين.

حيث تناولت الكتب الثلاثة ووجدت مؤلفها هو الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للدعوة الإسلامية بالأزهر زالت دهشتى أو كادت ، فالكاتب صاحب قدم ثابتة فى موضوعه ، يمتع القارئ ببساطته الموضوعية وإحاطته للقضية التى يعرضها ، وإلمامه بجوانب المناقشة وهو يدافع عنها ، حتى أنه يضطر المعارض من تلقاء نفسه إلى التسليم بما يقول ، ومؤلفاته فى سوق الكتاب لا ينقصها الرواج .

ولما قرأت الكتب واحدا بعد الآخر كانت نهاية المطاف مع الكتاب الذى يحمل عنوان هذا المقال فى محكمة التاريخ وهى كلها ذات موضوعات ثلاثة ، لكنها متكاملة فهى تشمل ثلاثة جوانب من قضية الإسلام مع أعدائه ، تضم مكانة كتابه بين الكتب السماوية التى سبقته ، وكيف أنه

النص الإلهى الوحيد الباقى بلا تبديل ولا تحريف ، وكذلك الاسلام كنظام للحياة بين المؤمنين به فى معاملاتهم لمخالفيهم فى الدين ، ثم قضية المرأة فى الاسلام مقارنة بها فى غير الاسلام من الديانات وفى المجتمعات الغربية .

ومنطق الكتب الثلاثة جديد فى عالم التأليف فهو إلى جانب النظرات التاريخية يأخذ شكل الحوار مع انه ليس مسرحيا ، وإنما أتيحت للمؤلف سنوات من الحياة فى استراليا ممثلا لرابطة العالم الإسلامى ورئيسا للمركز الاسلامى بها وشيخا لمسجد المركز ، ولأن المؤلف عاش حياته جواب آفاق فى كل بلاد الدنيا ، فقد كان كذلك جواب آفاق استراليا نفسها . فقد بدأ باستضافة القساوسة والراهبات والشباب من الجنسين إلى ندوات بالمسجد يجرى فيها حوارا عن الاسلام والمسلمين ، وثارت القضايا الحادة التى هوجم فيها الدين واتباعه بضراوة لكن الدكتور عبد الودود شلبى كان يمسك بالزمام فى هدوء عالم صادق ، وسرعان ما تخف الضراوة وتهدأ القلوب ويكون الاقتناع ...

تقديرا لهذا الداعية المسلم تلقى دعوات من القساوسة والشباب لعقد ندوات فى كنائسهم يتحدث فيها إلى الناس فيما يريدون أن يعرفوه عن الاسلام ، ويزيد على ذلك بأن يوضح لهم من استقراء التاريخ كيف دخل الاسلام إلى بلادهم ، وكيف تغلب أثناء الرحلة الأولى على مشكلات الطريق من قلة الماء والطعام والراحلة ، ولو أنه بعد ذلك وجد الجو الطبيعى لامتدت رقعته أكثر وأكثر على أرض استراليا ، تلك القارة البكر ، فى أرضها وثرواتها وعقيدة الناس الدينية فيها .

وكم شملت المناقشات من هموم وأحزان الإنسان المعاصر فى الحضارة

الحديثة أو ما يسمى كذلك فى أوربا وأمريكا واستراليا وغيرها من بقاع الأرض التى تتخذ من العلمانية حياة لها فضلت وأضلت ولم تجد الطريق ، وسيأتى عليها يوم قريب وقد تاه الإنسان فيها وهو يسلم نفسه تماما إلى الخمر والمخدرات والجنس بعيدا عن القيمة العليا فى اتصال الأرض بالسماء والتى تتمثل أعظم ما تتمثل فى الإسلام .

وإذا كانت هذه إشارة إلى ما فى الكتب الثلاثة من جلسات للحوار أودعها المؤلف أوراقها فقد طاف بمن يحاورهم فى مجالات أخرى عديدة يكشف لهم ما خفى عنهم وما جاز عليهم من ضلالات الثقافة التى استهدفت الاسلام وهى بعد ذلك نوع جديد من أدب الرحلات وأدب الدعوة الاسلامية فى وقت سواء .

للأستاذ عبد اللطيف فايد

نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية

القسم الأول من الحوار

* جامعة للبنات في حي الدعارة ..
* تجربتي ... مع راهبات الحقد والكراهية ..
* هكذا كانت المرأة قبل الإسلام ..
* ماذا في الإنجيل والتوراة ... ؟
* كل النساء ... إلى الجحيم .
* امرأة ... بشلنين في كنيسة .
* عندما كان القانون الانجليزي يبيح بيع الزوجة ..
* ايطالي يشتري زوجة رجل بالتقسيط ..
* مأساة الطالبة .. آليصابات .
* وهذا هو الإسلام ..
* شبهات والرد عليها ..
* نعم .. ولكن .. عن عمل المرأة .
* ماذا تقول أستاذة انجليزية ... ؟
* تقرير عن الديلي ميل ..
* الخديعة الكبرى ..
* انهيار .. وضياع ...

كان يومًا مطيرًا من أيام الشتاء الشديد البرودة فى مدينة سيدنى حين تركت القطار في المحطة الرئيسية بوسط المدينة .

واتجهت من فوري إلى مسجد الملك فيصل في شارع الكومونولث لأجد في انتظاري سيدة تحمل خطاباً تدعوني فيه لاجراء حوار مع طالبات « جامعة سان دي فنسنت » في حي كينجز كروس .

ـ أهذا معقول .. ؟ قلتها في نفسي بعد أن فرغت من قراءة هذه الرسالة ... فهذا الحي .. حي « كينجز كروس » هو حي الدعارة ... والمرور في هذا الحي ـ مجرد المرور ـ فيه شبهة ... فكيف توجد ـ للبنات ـ في هذا الحي جامعة ؟

* * *

الا أن الأمور لا تقاس بهذه المقاييس في حال الضرورة .. والداعي المخلص لا يتخلى عن دعوته في أقسى الظروف ضراوة ووحشية ..

* * *

لقد ظهر فى الستينات من هذا القرن كتاب عن « البرت شفيتزر »

اسمه We are all Brothers وقد ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان «كلنا أخوة» .

وفي هذا الكتاب تتحدث المؤلفة الأمريكية تشارلي ماي سيمون عن « ألبرت شفيتزر» الطبيب العالم المبشر الذي ترك وطنه فرنسا ليعيش في مستعمرة للجذام في « الجابون » بأفريقيا ، وفي ظروف تنعدم فيها أسباب العيش والبقاء في هذه الدنيا ...

وحين سئل من أحد معارفه عن سبب اختياره لهذه المهمة الشاقة .. وسط هذه الظروف الصعبة أجاب قائلاً :

ان من يفكر في فعل الخير يجب عليه ألا يتوقع من الناس أن يزيلوا الحجارة من طريقه . ولا حيلة له الا أن يتقبل نصيبه راضياً .. وان زادوا هذه الحجارة أحجاراً .. ! .

* * *

قلت للآنسة « دورثي » التي حملت إليّ رسالة الدعوة :

هل حددتم موعداً لاتمام هذه الزيارة . وإجراء هذا الحوار والمقابلة ؟

ـ نحن يا سيدي لا نلزمك بوقت محدد . ونحن على استعداد لاستقبالك في أي يوم عدا يومي السبت والأحد .

واتفقنا على أن يتم هذا الحوار بعد يومين من هذه المقابلة . وأن أذهب بالقطار بدلاً من حضورها لتحملني معها في السيارة !

وقبيل الموعد المحدد بنصف ساعة كنت أتجول في الحي الذي يقع فيه مبنى الجامعة .. وما كادت عقارب الساعة تشير إلى تمام الحادية عشرة حتى كنت أقف أمام البوابة لأرى في انتظاري الآنسة

« دورثي » ومعها ثلاث راهبات يبتسمن ابتسامة صفراء باهتة ..
ما هذا ؟ انها جامعة كاثوليكية . والراهبات الثلاث اعلان سافر عن
هذه « الهوية » .. واشارة واضحة عما يجري وراء الجدران الحديدية ..

لقد انقبض صدري دون سبب واضح من هذه المقابلة وان شئت
فقل : من هذا العنوان وهذه المقدمة . فقد كانت لي تجربة سابقة
مع هؤلاء الراهبات ... تجربة أليمة . ومرة ..

ففي مدينة الإسماعيلية .. حين كنت مطارداً من الطاغوت الذي
أذل مصر وأحرارها بقسوة . عملت في مدرسة من هذه المدارس
التي تخضع لإشراف الكنيسة الكاثوليكية .. لم يكن في هذه المدرسة
من الرجال غيري .. كن جميعاً من الراهبات اللائي تخصصن في
إدارة هذه الأوكار التى يطلق عليها اسم مدرسة ، وقد هالنى ما رأيت
فى هذه المدرسة . رأيت كتبًا تدرس وكلها اساءة إلى مصر . ورأيت الإسلام
منزويًا فى قبو مظلم تحت الأرض . وعجبت من غفلة المسؤولين عن التعليم
عن هذه الجرائم . وعزمت مستعينًا بالله على تغيير هذا الوضع القائم .

* * *

إن عصابات « المافيا » والألوية الحمراء . وكل الجماعات الارهابية
التي يتحدث عنها العالم في أيامنا هذه تعتبر في غاية النقاء والطهارة
إذا قيست بما في قلوب هؤلاءِ الراهبات من حقد وكراهية . وان
الدين الذي يتمسحن به يلعنهن فيه كل حرف وكل كلمة . وكما
يصفهن مفكر مسلم : ثياب ناصعة تستر وراءها قلوباً سوداء مظلمة ..

* * *

واتجهنا جميعاً بعد ذلك إلى قاعة فسيحة رصت فيها المقاعد بترتيب وأناقة . كان كل شيء جاهزاً ومعداً في انتظار المعركة القادمة ..

كانت البداية هذه الوريقات التي أصدرتها الأمم المتحدة تحت عنوان « الاعلان العالمي للقضاء على التمييز ضد المرأة » .. فقد وقفت احدى الطالبات تقرأ بعض ما جاء في مقدمة هذا الاعلان من ضرورة القضاء على التمييز ضد المرأة لأن هذا التمييز كما جاء في مقدمة هذا الإعلان يتنافى مع كرامة الإنسان وخير الأسرة والمجتمع

كانت الآنسة « لورا » تتكلم وقد صوبت نظرها إليَّ متحدية .. وما كادت تتوقف عن الكلام حتى انهالت الأسئلة علي من كل ناحية ...

فالطالبات « جاكلين » و« كارول » و« جانيت » كون فريقاً من المتحمسات لقضية المرأة .. وجلسن في مقدمة الصفوف استعداداً للهجوم وبدء المعركة ..

وقبل أن أرد على هذه الاسئلة .. وبعبارة أكثر دقة على هذا القذائف الموجهة ، قلت للطالبات الثلاث اللائي يقدن هذه الحملة :

كأنكن تتهمن الإسلام بعداوة المرأة ؟ وأنه سبب التخلف الذي تعاني منه في بعض الدول الإسلامية ؟

نعم .. نعم .. !

نطق بهذه الكلمة كل الطالبات في نشوة مشبوبة بالحماسة .. وابتسم الجميع في انتظار ما سوف أقوله بعد اطلاق هذه الرصاصة .. قلت معلقاً :

لقد أصدرتن حكمًا بلا بينة . ومن الانصاف والعدل ألا يصدر مثل

هذا الحكم إلا بعد الانتهاء من تقديم الشهود والأدلة .. .. ..

أن هذا الحق مكفول لأي متهم في أتفه قضية . فكيف إذا كان المتهم هنا هو « الإسلام » الذي يؤمن به ألف مليون مسلم ومسلمة .. ؟

والإسلام الذي تلصقون به هذه التهم ، وتتهمون أتباعه بالجمود والتأخر يأمرنا بالإنصاف والعدل حتى مع العدو ، ويحذرنا من التطرف في الجدال حتى مع الذين أساءوا إلى الله والنبي ...

« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم » .

« ولا يجرمنكم شنئآن قوم ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى »

هل سمعتن بقصة القاضي والأرملة ؟

إنها قصة مشهورة في انجيل « لوقا » ..

تقول هذه القصة التي يرويها « لوقا » على لسان المسيح عيسى بن مريم : كان فى بعض المدائن قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب الناس . وكان فى المدينة أرملة تأتيه تقول له : أنصفنى من خصمى . وهو لا يفعل . حتى جاء يوم بعد ذلك بكثير فقال الرجل فى نفسه :

ينبغي لي أن أنصف هذه الأرملة . وإن كنت أنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس حتى لا تعود إليَّ بعد ذلك .

ألا فاسمعوا ما يقوله القاضي الظالم ثم انظروا :

أفلا ينصف الله الذين اختارهم من عباده ؟ وان كان هو يتمهل في إنصافهم إذ يصرخون نحوه ليل نهار . إني أقول لكم : إن الله يتعجل عندئذ في إنصافهم[1] .

---

(١) لوقا : الاصحاح ١٨ .

ولا أحب أن يكون موقفنا من الإسلام موقف هذا القاضي الظالم من الأرملة .. اننا هنا في « محكمة التاريخ » .. فلندع الحقائق وحدها تتكلم . ولنصغ إلى صوت العدالة والحق حتى لا نجور ولا نظلم [(١)] .

لقد كانت المرأة في المجتمع اليوناني ـ أول عهده بالحضارة محصنة ـ وعفيفة لا تغادر البيت ، وكانت محرومة من الثقافة لا تسهم فى الحياة العامة بقليل ولا كثير. وكانت محتقرة حتى سموها رجساً من عمل الشيطان . أما من الوجهة القانونية فقد كانت المرأة عندهم تباع وتشترى في الأسواق وهي مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى حقوقها المدنية ، ولم يعطوها حقاً في الميراث ، وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة رجل وكلوا إليه أمر زواجها فهو يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجاً ، وعهدوا إليه بالإشراف عليها في إدارة أموالها ، فهي لا تستطيع أن تبرم تصرفاً دون موافقته ، وجعلوا للرجل الحق المطلق في فصم عرى الزوجية بينما لم يمنحوا المرأة حتى طلب الطلاق إلا في حالات استثنائية ، بل وضعوا العراقيل في سبيل الوصول إلى هذا الحق ، ومن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق تربص بها الرجل فى الطريق فأسرها وأعادها قسرًا إلى البيت .. !

أما في أسبارطة فقد توسعوا في إعطائها شيئاً من الحقوق المدنية فأعطوها شيئاً من الحق في الإرث والبائنة (الدوطة) وأهلية التعامل ،

---

(١) لقد كتب هذا الحوار فى فترة متأخرة بعد عودتى من استراليا . فلم تكن ثمت فرصة لكتابة هذا الحوار على النحو الذى يراه القارئ ولم يكن أيضًا بهذا الاتساع والشمول الذى تقتضيه ضرورة إصداره فى كتاب ..

وما كان ذلك عن سماحة منهم واعتراف بأهلية المرأة ، وإنما كان لوضع المدينة الحربي حيث كان أهلها في حرب وقتال ، فكان الرجال يشتغلون بالحرب دائماً ويتركون التصرف في حال غيبتهم للنساء .

وفى أوج حضارة اليونان تبذلت المرأة واختلطت بالرجال فى الأندية والمجتمعات فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنا أمرًا غير منكر . وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب . ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن ، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة . فمن آلهتهم « افروديت » التى خانت ثلاثة آلهة وهى زوجة إله واحد وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم . ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل ، وأقاموا لذلك تمثال « هرموديس وإستوجتين» وهما فى علاقة آثمة . وكان ذلك خاتمة المطاف فى حضارتهم فانهارت وزالوا .

عند الرومان :

كان رب الأسرة هو مالك كل أموالها فليس لفرد فيها حق التملك ، وانما هم أدوات يستخدمها رب الأسرة في زيادة أموالها ، وكان رب الأسرة هو الذي يقوم بترويج الأبناء والبنات دون إرادتهم .

أما الأهلية المالية فلم يكن للبنت حق التملك . وإذا اكتسبت مالاً أضيف إلى أموال رب الأسرة ولا يؤثر في ذلك بلوغها ولا زواجها . وفي العصور المتأخرة في عصر قسطنطين تقرر أن الأموال التي تحوزها البنت عن طريق ميراث أمها تتميز عن أموال أبيها . ولكن له الحق في استعمالها واستغلالها ، وعند تحرير البنت من سلطة رب الأسرة يحتفظ الأب بثلث أموالها كملك له ويعطيها الثلثين .

وفي عهد جوستنيان قرر أن كل ما تكتسبه البنت بسبب عملها أو عن طريق شخص آخر غير رب أسرتها يعتبر ملكاً لها ، أما الأموال التي يعطيها رب الأسرة فتظل ملكاً له ، على أنها وان أعطيت حق تملك الأموال فإنها لم تكن تستطيع التصرف فيها دون موافقة رب الأسرة .

وإدا مات رب الأسرة يتحرر الابن إذا كان بالغاً ، أما الفتاة فتنقل الولاية عليها إلى الوصي ما دامت على قيد الحياة ، ثم عدل ذلك أخيراً بحيلة للتخلص من ولاية الوصي الشرعي بأن تبيع المرأة نفسها لولي تختاره ، ويكون متفقاً فيما بينهما ان هذا البيع لتحررها من قيود الولاية فلا يعارضها الولي الذي اشتراها في أي تصرف تقوم به .

فى شريعة حمورابي وعند الهنود :

وكانت المرأة فى شريعة حمورابي تحسب في عداد الماشية المملوكة حتى أن من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها .

وكان علماء الهنود الأقدمون يرون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية .

ولم يكن للمرأة في شريعة مانو حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها فإذا مات هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها ، وهي قاصرة طيلة حياتها ، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد ، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود .

وكانت تقدم قرباناً للآلهة لترضى .

وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة . !

وجاء في شرائع الهندوس : ليس الصبر المر ، والريح ، والموت ، والجحيم والسم ، والأفاعي ، والنار ، أسوأ من المرأة .

عند اليهود :

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة ، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين والا ما كان يتبرع به لها أبوها في حياته .

ففي الاصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب : « ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض ، وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين إخوتهن » .

وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج ، إذا كان الأب قد ترك عقاراً فيعطيها من العقار . أما إذا ترك مالاً منقولاً فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة ..

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر ، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها .

واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة : « المرأة أمر من الموت ، وإن الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلاً واحداً بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد » .

عند المسيحيين :

لقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات ، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع . فاعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله ، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات ، وتتمتع بما تشاء من اللهو وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء ، فقرروا ان الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأن العزب عند الله أكرم من المتزوج ، وأعلنوا أنها باب الشيطان ، وأنها يجب أن تستحي من جمالها لأنه سلاح ابليس للفتنة والاغراء .

قال القديس « ترتوليان » : إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ناقضة لنواميس الله ، مشوهة لصورة الله ، أي الرجل .

وقال القديس سوستام : إنها شر لا بد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ومصيبة مطلية مموهة .

وفي القرن الخامس اجتمع مجمع « ماكون » للبحث في المسألة التالية : هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أم لها روح ؟

وأخيراً قرروا أنها خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح.

ولما دخلت أمم الغرب في المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت في نظرتهم إلى المرأة ، فعقد الفرنسيون في عام ٥٨٦ للميلاد (أي في أيام شباب النبي عليه الصلاة والسلام) مؤتمراً للبحث : هل تعد المرأة انساناً أم غير إنسان ؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب .

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى ان عهد الفروسية الذي كان يظن فيه ان المرأة احتلت شيئاً من المكانة الاجتماعية حيث كان الفرسان يتغزلون بها ويرفعون من شأنها ، لم يكن عهد خير لها بالنسبة لوضعها القانوني والاجتماعي . فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها .

والحق ان عصر الفروسية يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الازدراء ، يروى فيها « إن الملكة بلانشفلور ذهبت إلى قرينها الملك ببين تسأله معونة أهل اللورين . فأصغى إليها الملك ، ثم استشاط غضباً ، ولطمها على أنفها بجمع يده ، فسقطت منه أربع قطرات من الدم وصاحت تقول : « شكراً لك . إن أرضاك هذا فأعطني من يدك لطمة أخرى حين تشاء » . ولم تكن هذه حادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيرًا ما تتكرر ، كأنها صيغة محفوظة . وكأنما كانت اللطمة بقبضة اليد جزاء كل امرأة جسرت في عهد الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة ..

ولقد تقدم الزمن في الغرب من العصور المظلمة ، إلى عصور الفروسية ، إلى ما بعدها من طلائع العهد الحديث ، ولما تبرح المرأة في منزلة مسفة ، لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية العربية ، وقد تفضلها منزلة المرأة في تلك الجاهلية .

« ففي سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها . وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢ محرومة من حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة .. وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال فلما

كانت اليصابات بلاكويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ ـ وهي أول طبيبة في العالم ـ كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ، ويأبين أن يكلمنها ، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها ، كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها . ولما اجتهد بعضهم في اقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء .. » .

ومن الطريف أن نذكر أن القانون الانجليزي حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات .

فقد حدث أن باع انجليزي زوجته عام ١٩٣١ بخمسمائة جنيه ، وقال محاميه في الدفاع عنه : ان القانون الانجليزي قبل مائة عام كان يبيح للزوج أن يبيع زوجته ، وكان القانون الانجليزي عام ١٨٠١ يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة . فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد ألغي عام ١٨٠٥ بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن ، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة أشهر .

وقد حدث أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط ، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع .

ولما قامت الثورة الفرنسية (نهاية القرن الثامن عشر) وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة ، لم تشمل بحنوها المرأة ، فنص القانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضا وليها ان كانت غير متزوجة ، وقد جاء النص فيه على ان القاصرين هم : الصبي

والمجنون والمرأة . واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨ حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة ، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .

عند العرب قبل الإسلام :

وإذا عدنا إلى البيئة العربية قبل الإسلام ، وجدنا المرأة العربية مهضومة في كثير من حقوقها ، فليس لها حق الإرث ، وليس لها على زوجها أي حق ، وليس للطلاق عدد محدود ، ولا لتعدد الزوجات حد معين ، ولم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاية بها ، كما لم يكن لها حق فى اختيار زوجها . ولقد كان رؤساء العرب وأشرافهم فحسب يستشيرون بناتهم في أمر الزواج ، كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية .

وكان الرجل إذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها ، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ، ويعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه ، فان أراد أن يعلن عن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوباً ، والا كان لها أن تتزوج بمن تشاء .

وكانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى ، وكانت بعض قبائلهم تئدها خشية العار ، وبعضهم كان يئد أولاده عامة خشية الفقر ، ولم تكن هذه عادة فاشية في العرب وانما كانت في بعض قبائلهم ، ولم تكن قريش منها .

وكل ما كانت تعتز به المرأة العربية في تلك العصور على أخواتها في العالم كله ، حماية الرجل لها ، والدفاع عن شرفها ، والثأر لامتهان كرامتها .

وفي أواخر القرن السادس الميلادي ، ووسط هذا الظلام المخيم على المرأة في جميع أنحاء العالم المتمدن وغير المتمدن يومئذ ، انطلق من جزيرة العرب من مكة : انطلق صوت السماء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يضع الميزان الحق لكرامة المرأة ، ويعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة ، ويرفع عن كاهلها وزر الاهانات التي لحقت بها عبر التاريخ ويعلن انسانيتها الكاملة ، وأهليتها التامة ، ويصونها عن عبث الشهوات ، ويجعلها عنصراً فعالاً في نهوض المجتمعات وتماسكها وسلامتها .

وتتلخص المبادئ الاصلاحية التي أعلنها الإسلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالمرأة فى المبادئ التالية :

أولاً : ان المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء ، يقول الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »[١] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إنما النساء شقائق الرجال »[٢]

ثانياً : رفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئا منها وحدها ، بل منهما معاً .

يقول تعالى فى قصة آدم : «فأزلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه »[٣] .

---

(١) سورة النساء : ١ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

(٣) سورة البقرة : ٣٦ .

ويقول عن آدم وحواء : « فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما »[1] .

بل ان القرآن في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال « وعصى آدم ربه فغوى »[2] .

ثم قرن مبدأ آخر يعفي المرأة من مسؤولية أمها جواء وهو يشمل الرجل والمرأة على السواء : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ماكسبتم . ولا تسئلون عما كانوا يعملون »[3] .

ثالثاً : أنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت ، ومعاقبتها ان أساءت كالرجل سواء بسواء ، يقول الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون »[4]

ويقول تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »[5] .

رابعاً : حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب ولا يزال شأن كثير من الأمم ومنهم بعض الغزبيين ، فقال تعالى منكراً هذه العادة السيئة : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠ .

(٢) سورة طه : ١٢١ .

(٣) سورة البقرة : ١٣٤ .

(٤) سورة النحل : ٩٧ .

(٥) سورة الـ عمران : ١٩٥ .

أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون»[١] .

خامساً : حرم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال : «وإذا الموؤودة سئلت : بأي ذنب قتِلت[٢] ؟ .

وقال : «قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم»[٣] .

سادساً : أمر بإكرامها : بنتا ، وزوجة ، وأماً .

أما اكرامها كبنت فقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة :

منها قوله صلى الله عليه وسلم : «ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ..» الخ .

وأما اكرامها كزوجة ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة : منها قوله تعالى :

«ومن آياته أن خلَق لكم من أنفسكم أزواجاً لِتسكنُوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»[٤] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة ، إن نظرت إليها سرتك ، وان غبت عنها حفظتك»[٥] .

وأما إكرامها كأم ففي آيات وأحاديث كثيرة :

قال الله تعالى : «ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا»[٦] .

---

(١) سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) سورة التكوير : ٨ ، ٩ .

(٣) سورة الانعام : ١٤٠ .

(٤) سورة الروم : ٢١ .

(٥) رواه بألفاظ قريبة منه مسلم وابن ماجه .

(٦) سورة الأحقاف : ١٥ .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بصحبتي ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك «قال : ثم من ؟ قال : أبوك»[1] .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أريد الجهاد في سبيل الله . فقال له الرسول : هل أمك حية ؟ قال : نعم . قال : إلزم رجلها فثم الجنة[2] .

سابعاً : رغب في تعليمها كالرجل ..

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[3] .

ثامناً : أعطاها حق الارث : أما ، وزوجة ، وبنتا : كبيرة كانت أو صغيرة أو حملاً في بطن أمها .

تاسعاً : نظم حقوق الزوجين ، وجعل لها حقوقاً كحقوق الرجل ، مع رئاسة الرجل لشؤون البيت ، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة . قال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »[4] .

عاشراً : نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده في أمره فجعل له حداً لا يتجاوزه ، وهو الثلاث ، وقد كان عند العرب ليس له حد يقف عنده وجعل لإيقاع الطلاق وقتاً ، ولأثره

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) سورة البقرة ٢٢٨ .

عدة « أي مدة » تبيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام .

الحادي عشر : حد من تعدد الزوجات فجعله أربعاً وقد كان عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي تبيح التعدد غير مقيد بعدد معين .

* * *

وقد عرض القرآن للمرأة في عشر سور أو أكثر منها سورة البقرة ، سورة النساء ، سورة المائدة ، سورة النور ، سورة الأحزاب ، سورة المجادلة ، سورة الممتحنة ، سورة التحريم وسورة الطلاق ..

ففي سورة النساء تحدث القرآن عن الأصل الذي تكاثر منه الإنسان ، وجعل المرأة شريكة الرجل فى تكوين ذلك الأصل . وجعله نعمة توجب على الإنسان التقوى والمراقبة :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ـ سورة النساء . ١ .

وجعل القرآن للمرأة حقاً في المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها . وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . بلا تفرقة بين رجل وامرأة . ويقول العلماء عند تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة » .. يقول المفسرون فى معنى هذه الآية :

علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم ..

والمراد بالأهل النساء والأولاد ذكوراً وإناثاً .

وإذا كانت وقاية الأهل من نار الآخرة واجبة وهي لا تكون إلا

بالتعليم والارشاد إلى ما أوجبه الله من حقوق وواجبات ، فوقايتهم من نار الدنيا وهي الحياة المنغصة بالجهل والشقاء وعدم النظام لا تقل في الوجوب عن الوقاية من نار الآخرة .

وقد قال الإمام الشيخ محمد عبد كلامًا فى تعلم المرأة يدل على ان التعليم الذى يوجبه الدين على المرأة ليس قاصرًا على تعليم العقائد والآداب والعبادات . وانما يتناول كل مناحى الحياة المختلفة .

ولم يقف القرآن بالمرأة عند حد تسويتها بالرجل في حق التعليم وحق حرية الرأي بل سوى بينهما في حق التملك ومباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها ..

وجعل لها ملكاً خاصاً وجعلها صاحبة السلطان المطلق في إدارته والتصرف فيه . وحذر الرجل أن يمد يده إلى شيء منه الا باذنها ورضاها . وجعل لها الحق فى مباشرة العقود من بيع وشراء . وأباح لها ان توكل غيرها فى كل ما تملكه بنفسها وأن تتوكل عن غيرها فى كل ما يملكه ، وأباح لها أن تضمن غيرها في كل ما يملكه وأباح لها أن تضمن أي يضمنها غيرها على نحو ما أبيح للرجال فى كل هذه التصرفات . ولا نعلم أحداً من فقهاء الإسلام رأى أن النصوص الواردة في التصرفات المالية خاصة بالرجل دون المرأة ..

وقد جاء في صحيح البخاري تحت عنوان « باب غزو النساء وقتالهن » عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .. وعن أم عطية الأنصارية قال : «غزوت مع رسول الله صلى الله علية وسلم سبع

غزوات . أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى » .

ولم يقف الإسلام بالمرأة في هذا الميدان عندإباحة خروجها مجاهدة ، بل احترم أمانتها وجوارها . فمن المتفق عليه ما روى عن أم هانئ قالت : ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا أم هانئ . فقال : مرحبا يا أم هانئ . فلما فرغ من غسله قام يصلى فلما انصرف قلت : يارسول الله زعم ابن أمى على ابن أبي طالب أنه قاتل رجلاً قد أجرته . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ..

فهل يجد الناس في تشريع مثل هذا ؟

وبعد :

هل بقي في أنفسكن شيء من الشك ؟

إني أدرك تماماً ما رسخ في عقولكن من التناقض والحيرة . فالمؤسسات التعليمية في الغرب .. ومنذ بدأ الصراع الدامي بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشرق ... هذه المؤسسات التعليمية بمختلف فرقها ومناهجها تعمدت وضع الإسلام في موضع الشك .. وأعلنت عليه العداوة والحرب ..

وحتى يومنا هذا ... وفي هذا العصر الذي تنازلت فيه الكنيسة عن العرش ... لا تزال هذه العداوة كامنة في القلب . وفي معاهد العلم . وفي دوائر السياسة والحكم .

بعد سقوط مدينة القدس أمام الغزو الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ . قال راندولف تشرشل في كتابه (حرب الأيام الستة) Six Days War

لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء .. ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .

ان القدس قد خرجت من أيدي المسلمين . وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود أبداً إلى المسلمين .

ربما تقول احداكن :

إن راندولف تشرشل هذا صحفي .. فكيف تأخذ كلام هذا الصحفي مأخذ الجد .. نهتم به إلى هذا الحد ... ؟

وقد أوافقكن على هذا الاعتراض من ناحية الشكل ..

لكن ماذا تقلن عن « يوجين روستو » مساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس الأميركي السابق جونسون . ؟

لقد قال :

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب .

بل ، هي خلافات بين الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية .

منذ القرون الوسطى وهى مستمرة حتى هذا اليوم ...

ان الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا جزء من العالم الغربي . فلسفته وعقيدته ونظامه . وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته لأنها ان فعلت غير ذلك فانها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ..

انتهى كلام روستو ..

فهل انتهت حيرتكن . وزال الشك والتناقض من قلوبكن ؟

* * *

وخيم على القاعة صمت طويل . وثقيل . لقد خيل إليّ أن كل شيء قد توقف عن الحياة .. وأن الهواء قد استحال إلى ثاني أوكسيد الكربون .. فالطالبات أشبه بتماثيل الشمع .. أما الراهبات فقد كتمن أنفاسهن استعداداً للهروب من الحبس ..!

وجاء الأنفراج أو الانفجار بثلاثة أسئلة من الطالبات ماري وبريجيت وجاكلين .. تقول هذه الأسئلة :

إذا كان الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، ومنحها حقوقها كاملة غير منقوصة .. فلماذا التفرقة بينها وبين الرجل في الشهادة ؟ وجعل له الرياسة في شؤون البيت والأسرة ؟

وأعطاه ضعف ما تأخذ المرأة من التركة ... ؟

قلت للآنسة « ماري » :

لقد بين القرآن الكريم « الحكمة » في أن تقوم شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد .

ان القضية هنا لا علاقة لها بأفضلية الرجل على المرأة ، ولا صلة بين هذه الشهادة وبين كرامة المرأة .

إن العلة هنا في هذه (التفرقة) كما يقول القرآن الكريم هي النسيان . « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » والنسيان ينشأ هنا من أسباب كثيرة .

فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بهذه الأمور ومعرفة دقائقه وتفاصيله ...

وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية وسرعة استجابتها للمسائل العاطفية وهذه الطبيعة لا تفصل عن المرأة ولا تتخلص منها مهما بلغت من التعليم والثقافة ..

وليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلاً على أن المرأة تساوي نصف الرجل انما هو اجراء روعي فيه كل الضمانات في الشهادة سواء أكانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده .

ومن أجل الفرق في نوعية العاطفة بين الرجل والمرأة ، قيل عن الرجل : إنه صاحب جلد ، وان تحمله على الشدائد والأزمات أطول من تحمل المرأة . إذ لا يستجيب للأزمة فوراً ، ولا ينتقل بسرعة بسبب تلك الأزمة من حال نفسي إلى حال مقابل له ، قبل أن يفكر ويراجع عناصر الأزمة للخروج منها . فهو قبل الانتقال والتغير يفكر ويتروى في تفكيره . ومن يتعود التفكير والتروي فيه يكون صاحب ذاكرة قوية يراجع بها الأحداث في غير خلط أو تشويش .

وشريعة الله عندما فرقت فى الشهادة بين الرجل والمرأة ، أسندت الاختلاف بينهما إلى خصائص الطبيعة البشرية لكل منهما ، وإن خلقا من أصل واحد . لأن الفروق الفردية بين الذكور أو بين الإناث قائمة . وكذلك الفروق النوعية بين الذكر والأنثى ، قائمة أيضاً .

ومن هذه الفروق النوعية في جانب المرأة : عدم جلدها .. وسرعة تقلبها .. وقلة ترويها ومراجعتها ، وبالتالي : سرعة نسيانها أو قلة تذكرها .

وقد يوجد من النساء من تقوّم شهادة إحداهن بشهاد ألف رجل . ولقد يوجد من الرجال ألوف لا تقبل منهم شهادة أحد ..

ولكن القوانين والشرائع لا تخضع لهذه الاستثناءات الفردية وأنما تجيء القوانين والشرائع للأغلبية الساحقة من الناس .

* * *

ننتقل بعد هذا إلى سؤال الآنسة (بريجيت) عن حق الرجل في رئاسة الأسرة وفي تقرير مسؤوليته عن جميع من في البيت أولاداً أو زوجة .

أن كل مجتمع مهما كان صغيراً لا بد وأن يكون مسؤولاً عنه أحد ولا بد أن يدير أموره قائد كفء ..

ولنضرب مثلاً بهذه الجامعة ..

أليس لها مدير أو مديرة ؟ إن هذا المدير. هو صاحب الكلمة العليا في ادارة هذه الجامعة .. هو المسؤول عن تطبيق النظام وتقرير الأصلح والأحسن لمصلحة الأساتذة والطالبات ..

انه صاحب « القوامة » في هذه الجامعة وكلمته في النهاية مسموعة ومطاعة ....

هل يفهم من هذا أن مدير الجامعة أكثر من غيره انسانية وكرامة ؟ ينطبق هذا المثل على كل قطاع ومؤسسة فى هذه الدولة .. من الحاكم العام .. إلى قائد الجيش إلى رئيس الوزراء .. والوزراء إلى رؤوساء مجالس الادارة إلى ناظر المدرسة . إلى البيت والأسرة .

ومن المعروف بداهة أن اختيار الرؤساء أو الوزراء لا يتم اعتباطًا أو مجاملة .. بل لا بد من الكفاءة والخبرة .. والمقدرة . والاستعداد الكامل لتحمل هذه المسؤولية .

فليس كل إنسان يصلح وزيراً .. وليس كل عامل يصلح مديراً ..

فإذا قرر القرآن أن الرجل هو « القيم » والمسؤول عن الأسرة والبيت ، فان ما يقوله القرآن هو ما يقوله كل عاقل وعاقلة في هذا الكون ..

واختيار الرجل لهذه المهمة ليس مجاملة له . أو محاباة لنوعه . إنه وضع الشيء في مكانه .. وتكليف الأصلح والأقدر لمباشرة مهمته .

والإسلام ينظر إلى الأسرة نظرة مقدسة . إنها أهم « مؤسسة » في الحياة البشرية . بهذا تقول كل النظم . وبهذا تقرر كل الدساتير والشرائع ...

وقيادة الرجل لهذه المؤسسة قيادة ناشئة عن الواجبات المفروضة عليه تجاه هذه المؤسسة . وتجاه هذه الأسرة .

ولا يغضب منكن أحد إذا قلت : إن الرجل متفوق على المرأة حتى في أخص الأعمال التي عرفت بها المرأة .

« فالمرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعامًا قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الأسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه . ولكنها ـ بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين ـ لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتفرغ لها بضع سنوات ، ولا تجاريه فى إجادة الأصناف المعروفة . ولا فى ابتداع الأصناف والافتنان في تنويعها وتحسينها ، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد العاملون فيه من بنات جنسها أو من الرجال .

وصناعة التطريز وعمل الملابس ـ كصناعة الطهي ـ من صناعات النساء القديمة في البيوت ، ولكنها تعول على الرجال في ازيائها ،

ولا تعول فيها على نفسها ، وتفضل معاهد « التفصيل » التي يتولاها الرجال على المعاهد التي يتولاها بنات جنسها ، وكذلك تفضل معاهدهم على معاهد النساء في أعمال التجميل والزينة عامة ، ومنها تصفيف الشعر وتسريحه واختيار الأشكال المستحبة لتضفيره وتجميعه . وقد عنيت المرأة بألوان الطلاء منذ عرفت الزينة ، ولكنها لم تحسن من هذه الصناعة ما أحسنه الرجل في سنوات قصار .

وفي النهاية نسأل أنفسنا هذا السؤال :

أيهما أجدر أن تكون وظيفته القوامة ، بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟ فإذا كان الجواب البديهي هو الفكر ، فقد انحلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير . فالرجل بطبيعته المفكرة لا المنفعلة ، وبما يحتوي كيانه من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته ، أصلح من المرأة في أمر القوامة على البيت . بل إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع لرغباتها بل تحتقره بفطرتها ولا تقيم له أي اعتبار .

وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة ، أو بإدارة البيت . فالرئاسة التي تقابل التبعة لا تنفي المشاورة ولا المعاونة . بل العكس هو الصحيح . فالرئاسة الناجحة هي التي تقوم على التفاهم الكامل والتعاطف المستمر . وكل توجيهات الإسلام تهدف إلى ايجاد هذه الروح داخل الأسرة ، وإلى تغليب الحب والتفاهم على النزاع والشقاق .

* * *

أما ما تقوله الآنسة ، جاكلين ، عن التفاوت بين نصيب الرجل والمرأة في الميراث الشرعي .. فالرد على هذه الشبهة أهون من غيره ..

ونحن كمسلمين نعتز بهذا الحكم ونفخر بتطبيقه ..

ولتقريب « الحكمة » من هذا التفاوت بين نصيب الرجل ونصيب المرأة أضرب لكن مثلاً :

توفي رجل وترك ابنا وترك ابنة .. إن نصيب الابن سيكون الثلثين من هذه التركة . أما نصيب البنت فسيكون منحصراً في ثلث التركة فقط .

سنرى بعد ذلك . أن هذا الابن الذي حصل على ثلثي التركة له زوجة قد أنجب منها ولدين أو ثلاثة .

إن هذا الرجل الذي ورث ثلثي التركة . ملزم بالانفاق على زوجته وعلى أولاده الثلاثة .

فإذا كان له بعد ذلك أقرباء يحتاجون إلى رعايته فإن الإسلام يفرض عليه لهؤلاء الأقرباء نفقة يدفعها إليهم ويلزم برعايتهم وحتى هذه الأخت التي ورثت ثلث التركة فان الإسلام يلزمه بالإنفاق عليها في حال الضرورة والحاجة ..

ومعنى هذا كله أن نصيب الابن من الميراث وان كان ضعف نصيب الابنة . فانه ينفق على كل هؤلاء الذين يعيشون في بيته . وعلى المحتاجين من إخوته وأقاربه .

أما البنت التي ورثت ثلث هذه التركة فانها تحتفظ بهذا المال ولا تحتاج لإنفاقه . لأنها إذا تزوجت فان نفقتها ومطالب حياتها واجبة على هذا الرجل الذي تتزوجه ولا يسمح الإسلام لهذا الرجل أو الزوج بالاستيلاء أو أخذ شيء مما تملكه .

فإن تنازلت له راضية .. عن شيء من هذا المال فهذا حقها وشأنها فيما تحوزه وتملكه ..

ولو حدث ما يكره وهو الطلاق فقد ألزم الإسلام الرجل أن يدفع لها نفقة .. وهذه النفقة لا حد لها إنما تختلف باختلاف حالة الرجل وظروفه الاقتصادية « لينفق ذو سعة من سعته »[1] .

وأوجب لها الإسلام نفقة ثانية هي نفقة (المتعة) وهذه أيضاً تختلف بظروف الرجل المالية .

« وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين »[2] .

فإذا حدث وتزوجت بعد ذلك فبها ونعمت وإلا عادت إلى أخيها الذي ورث ثلثي التركة لتعيش في رعايته . إذا كانت فقيرة أو محتاجة .

ترى أي الفريقين أسعد حظاً من الآخر بعد هذه المقارنة ؟

الابن الذي يعول اسرة ؟ أم البنت التي تستأثر بمالها كله ، وتعيش في كنف غيرها . أماً كانت أم بنتاً أم زوجة ؟

* * *

لقد كرم الإسلام المرأة بما لم تكرمها به آية شريعة أو حضارة ومنحها من الحرية والاستقلال ما لم تصل إليه المرأة الحديثة . فحالة المرأة فى فرنسا مثلاً كانت إلى عهد قريب أشبه بحالة الرق المدنى . فقد نزع منها القانون صفة الأهلية فى كثير من الشؤون المدنية . كما

---

(١) سورة الطلاق : ٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤١ .

تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي إذ تقرر هذه المادة ان « ... المرأة المتزوجة ـ حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ـ لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليها موافقة كتابية .. » .

وبالرغم مما أدخل على هذه الماده من قيود وتعديلات ـ فيما بعد ـ فان كثيراً من آثارها لا يزال ملازمًا لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر[1] .

* * *

ولمزيد من الإيضاح حول هذه النقطة فلابد من إيراد هذا الحوار بين سيدة فرنسية شهيرة وبين إحدى المجلات العربية التى تصدر فى لندن .

فقد نشرت مجلة الحوادث وقائع هذه المقابلة التي ننقل نصها بالحرف عن هذه المجلة :

« هذا الحديث جرى معها على ارتفاع أحد عشر ألف قدم في طائرة زوجها الذي كان يقوم بجولة انتخابية في جنوب شرقي فرنسا .

كان هذا الزوج هو « مسيو دوبريه » المرشح لرئاسة فرنسا .

وكانت معه زوجته في الطائرة التي تم فيها اجراء هذا الحوار أو المقابلة ..

---

(١) الأسرة والمجتمع .. د/ على عبد الواحد وافى ص ١١٧ .

ـ ما رأي السيدة « دوبريه » في مطالب المرأة الفرنسية وتذمرها مما هي فيه ؟

مدام دوبريه :

لا أجد المرأة متذمرة في فرنسا فالذي حصلت عليه من الحقوق يضمن لها الحرية والاستقرار ..

ـ ولكن الجمعيات النسائية تقوم بمظاهرات كثيرة احتجاجاً على حرمانها من بعض الحقوق ؟

مدام دوبريه :

هناك دائمًا أناس غير راضين مهما فعلنا . ومعظم هذه المظاهرات تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة .. هذه المساواة غير موجودة وبالتالى لا يمكن تحقيقها مهما كثرت الادعاءات .

فالرجل يختلف عن المرأة وهما لا يتساويان في القدرات .. ان هذه مزحة قديمة لا أؤمن بها ... !

ـ أين هو مكان المرأة الطبيعي في نظرك في البيت أم في المصنع ؟

مدام دوبريه :

أعتقد أن مكان المرأة هو البيت ...... إن أفضل ما يمكن أن تفعله المرأة هو تربية أولادها .. ! ! !

ـ هل أنت مع ممارسة المرأة للعمل السياسي .... ؟

مدام دوبريه :

أنا ضد ذلك قطعاً ....

لأني الاحظ أن المرأة عندما تعمل في السياسة تكون مواقفها دائماً متطرفة ..

وأعتقد أن رقابتها على مشاعرها غير كافية لأنها حساسة جداً .
ولهذا فالسياسة صعبة جدًا بالنسبة للمرأة ... »

* * *

وهنا .... توقفت عن الحديث ..لأرى ما سوف تقوله الطالبة « جانيت » بعد أن رفعت يدها إشارة إلى سؤال تريد أن تقدمه ..

قلت للآنسة « جانيت » :

إذا كان طلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة فكذلك العمل فريضة على الرجل المسلم والمرأة المسلمة ..

ولكن أي عمل ؟

هذا هو مربط الفرس . وهذه بداية الخلاف في وجهات النظر .

إن أقدس عمل تقوم به المرأة عندنا نحن المسلمين هو ما يتفق مع الفطرة ... إننا لم نخلق فى هذه الحياة عبثًا . والخالق الأعظم زود كلاً من الرجل والمرأة بخصائص تؤهل كلاً منهما لوظيفته التى خلق من أجلها ..

وقد بين الإسلام للرجل والمرأة مجالات عمل كل منهما ، وهذا التحديد لم يفرض على أي منهما قهرا . ولكنها مجالات تحددها الفطرة . وتحددها الطبيعة وتحددها بوضوح أكثر العلوم والدراسات الحديثة ..

والأسرة من وجهة نظر إسلامية هى المجال الأول لعمل المرأة . إن بناء سفن الفضاء ، وصناعة البوارج والطائرات لا يعتبر شيئاً بالنسبة لبناء الإنسان الذي استخلفه الله فوق هذه الأرض .. وقديماً قال نابليون القائد الفرنسى المعروف :

إن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها ...

لا أقصد بذلك ان الإسلام يحرم على المرأة الاشتغال بأعمال أخرى خارج البيت . فهناك مجالات أخرى للعمل تفضل فيها المرأة على الرجل .

في مدارس البنات ... في كليات الطب لعلاج النساء ... في الهيئات التي يتصل عملها بوظيفة المرأة ... وفي المؤسسات التي تهدف رسالتها إلى ترقية المجتمع والأسرة ... وفي التجارة إذا كانت ظروفها تسمح بممارسة هذه المهنة وبشرط الالتزام بآداب الإسلام في السلوك والحشمة ...

* * *

أما « العمل » بالصورة الماثلة أمام أعيننا هنا في « استراليا » أو في « أميركا » أو في « أوروبا » .

فلا أظن عاقلاً أو منصفاً يوافق على ما انتهت إليه المرأة في هذه المجتمعات كلها .. يقول « ألكسيس كاريل » :

« لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله المدرسة بتدريب الأسرة استبدالاً تمامًا ..

ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن .. أو مطامعهن أو مباذلهن أو للعب البريدج ، أو ارتياد دور السينما . وهكذا يضيعن أوقاتهن في الكسل . إنهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الطفل بالكبار ، فيتعلم عنهم أموراً كثيرة .. إن الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع أخرى من نفس عمرها في حظيرة واحدة ، لا تنمو نمواً مكتملاً

كالكلاب الحرة التي تستطيع أن تمضي في اثر والديها . والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء . لأن الطفل يشكِّل نشاطه الفسيولوجي والعقلي طبقًا للقوالب الموجودة في محيطه . إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً من الأطفال في مثل سنه . وحينما يكون مجرد وحدة في المدرسة ، فإنه يظل غير مكتمل . ولكي يبلغ الفرد قوته الكاملة فانه يحتاج إلى عزلة نسبية ، واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة »[1] .

* * *

لقد وقفت أستاذة انجليزية تقول في حفل تكريمها بعد أن بلغت الستين سنة تقول :

« ها أنا قد بلغت الستين من عمري . وصلت فيها إلى أعلى المراكز... نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري .. وحققت عملاً كبيراً في المجتمع .. كل دقيقة كانت تأتي علي بالربح . حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال كثير .. أتيحت لي الفرصة أن أزور العالم كله ..

ولكن ... هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات .. ؟

لقد نسيت في غمرة انشغالي في التعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة ..

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ٣١٨ – ٣١٩ .

نسيت أن أتزوج . وأن أنجب أطفالاً .. وأن أستقر ..

إنني لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتي . شعرت في هذه اللحظة أنني لم أفعل شيئاً في حياتي .. وان كل الجهد الذي بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء .. فسوف أستقيل . وسيمر عام على استقالتي وبعدها ينساني الجميع .

ولكن .. لو كنت تزوجت ، وكونت أسرة . لتركت أثراً أكبر وأحسن في الحياة .. إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج . وتكون أسرة ، وأي مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له في حياتها هي بالذات .. .. إني أنصح كل طالبة تسمعني أن تضع هذه المهام في اعتبارها . وبعدها تفكر فى العمل والشهرة[1] » .

ولمزيد من الإيضاح ، فاني أقدم تقريراً نشرته جريدة الديلي ميل الانجليزية حول هذا الموضوع .

لقد نشرت هذه الصحيفة تقريراً عن حال المرأة في بريطانيا في عددها الصادر يوم العاشر من شهر يونيو ١٩٧٥ تقول فيه :

لقد ابتدأت المرأة تدفع ثمن تحررها : سوء صحة متزايد ... ضغوط ومعاناة ... وفقدان للدافع الجنسي والانجاب . ولقد أدلى بذلك الكثير من الباحثين والأطباء . فالنساء الآن يدخن أكثر ، يتعاطين الخمر أكثر . ويحاولن الانتحار بشكل متزايد . كما ان تعاطيهن للعقاقير ونسبة إصابتهن بأمراض القلب وبالسرطان وبالأمراض السرية في ارتفاع مستمر . ويقول الأستاذ ايفور هـ . سيلز ، الذي يرأس فريقاً من الباحثين وظل يدرس هذه المشكلة مدة

---

(١) عن جريدة الأهرام الصادرة يوم ٢٩ /٥/١٩٦١ .

الثماني سنوات الأخيرة في مستشفى اوبنروك الجديد في كامبردج ، يقول هذا الأستاذ : « إنني أرى النساء تنهار حيويتهن بشكل تدريجي تحت ضغوط اجتماعية وجنسية ومهنية ، ففي الوقت الحالي تبدو النساء من الناحية الحيوية أقل تحملاً لهذه الضغوط من الرجال » .

أو كما قال الدكتور ماكس جلات الذي يدير وحدة علاج لمدمني الخمر والمخدرات في مستشفى سانت برنارد بشوت هول في سيدلسكس عندما ذكر ما يلي : « أعط النساء مايكفي من الحبال وستجد أنهن يشنقن أنفسهن أسرع من الرجال » .. !

ولقد شرح الاستاذ ميلز أن عدد النساء اللواتي خرجن من بيوتهن للعمل ممن يزيد عمرهن عن ١٦ عاماً قد ازداد بنسبة ٢٧٪ فى العشرة أعوام الماضية ، وبتزايد المشكلات الاقتصادية فان النسبة ستزداد ، وبالذات بين النساء اللواتي يرعين بيوتاً وأسرا . وفي كثير من الحالات فإن هؤلاء يشغلن الوظائف من أجل الحصول على المال ثم يصبحن بعد ذلك مجبرات على الاستمرار في الوظيفة والاهتمام بها دون داع ، أو بدافع من نشوة يحصلن عليها منها . ويكمل الأستاذ شرحه قائلاً : « لقد اثبتت بحوثنا أن مثل هؤلاء النساء يعرضن أنفسهن لضغوطات أكثر مما يحتاج لهن الأمر ويصبحن بصورة مرضية مجبرات على الأكل بين الوجبات ، ويبدأن بالقلق على زيادة وزنهن . إنهن أيضاً يجدن صعوبة في النوم فيبدأن في تعاطي الأقراص المنومة . وكل هذا يعني زيادة في التوتر في المكاتب وفي البيوت حيث يصبح هناك جو من الحساسية والاضطراب والخلافات . ولو ان النساء ضغطن على أنفسهن بالمزيد من العمل فان شخصيتهن ستتغير ، بل

ان ميزان الهرمونات فى أجسامهن يتغير أيضًا ، وهذا يؤدى إلى هبوط في الدافع الجنسي وفي القـدرة على الانجـاب . إن معـدل الانجـاب ينخفض بصورة خطيرة ، وانني لمقتنع ان هذا الانخفاض ليس فقط بسبب حبوب منع الحمل . إن معدل الولادة انخفض من ١٨.٦ لكل ألف امرأة في عام ١٩٦٤ إلى ١٥.٨ في عام ١٩٧١ ، ولكنه انخفض إلى ١٤.٤ في عام ١٩٧٢ ، ولقد كان ١٢.٧ في العام الماضي . ان هذا المعدل ينخفض بسرعة شديدة لدرجة أن سكاننا الآن لم يصبحوا قادرين على أن يعوضوا النقص الذي يحدث لهم . ومع هذا فعيادات العقم مكتظة بنساء متلهفات على الانجاب .

ولقد بين الأستاذ ميلز أيضاً أن سن البلوغ قد انخفض إلى سن ١٢ سنة تقريباً . وهذا أدى إلى أن الضغوط توضع على البنات الآن في سن مبكر . فهناك الضغط الجنسي الناتج من شعورهن بأن المتوقع منهن أن يستسلمن لأصدقائهن من الأولاد . ومما يضاعف هذا الضغط هبوط مستوى الضبط عند الآباء وقلة قدرتهم على التفاهم مع بناتهم أو نصحهن . ان التغير الذي حدث في المستوى الخلقي وفي معايير السلوك قد أصبح من الضخامة ومن السرعة لدرجة أن الكثير من الآباء أصبحوا عاجزين عن ضبط أولادهم وبناتهم أو حتى على فهمهم .

وبازدياد نسبة انفصال الأزواج فان عدداً وفيراً من الأطفال أصبح متروكاً لينمو بمفرده ، وهذا هو أحرج أعوام حياتهم فى تلك البيئة المختلفة التى لا أمن بها ، «بيئة الرمال الاجتماعية المتحركة»

وتعتبر محاولة البنات المراهقات لانقاص وزنهن إحدى أهم

المشكلات التي واجهها هذا الاستاذ في بحثه . فهو يقول إن قلة الأكل لانقاص الوزن تؤدي ـ عندما تزيد عن حدها ـ إلى اضطرابات في العادة الشهرية وفى مستويات الهورمونات لدرجة قد تسبب اضطرابات ومشاكل خطيرة فيما بعد . ومما أسفر عنه البحث أيضاً لظاهرة تنقيص الوزن من المراهقات هو وجود علاقة بين تنقيص الوزن وبين المذاكرة . يقول الأستاذ ميلز : «ظننا فى أول الأمر ان البنات يدمنّ محاولات انقاص وزنهن بصورة مرضية بسبب أنهن في سن يجعلهن حريصات على رشاقة قوامهن ، ولكن النتائج التي حصلنا عليها من بحثنا اثبتت علاقة أكيدة بين الإعداد للامتحانات وبين تجويع البنات لأنفسهن ، وسبب هذه العلاقة قد يكون أن البنات قد لاحظن بطريقة غير شعورية أن مستوى تحصيل المخ يصبح أكثر بعد الأيام القليلة الأولى بدون طعام» .

ومما يبعث على القلق أيضاً زيادة محاولات الانتحار بين النساء ، فلقد زادت حالات محاولات الانتحار في البنات اللواتي يقل عمرهن عن عشرين عامًا . زادت خمسة أضعاف فى خلال العشرة أعوام الماضية . أما بالنسبة لمن يزيد عمرهن عن ثلاثين عامًا فقد كان التضاعف ما بين مرتين إلى ثلاثة .

أما عن التحرر الجنسي فان ضريبته تدفع على صورة ارتفاع متزايد في معدل الاصابة بالأمراض السرية بين النساء . وكما يقول بعض الأطباء تدفع أيضاً على صورة ارتفاع في معدل الإصابة بالسرطان . قد كان معدل الاصابة بالأمراض السرية نصف معدل إصابة الرجال . أما الآن فقد أصبح معدل الإصابة بين النساء ثلثي معدل الاصابة بين الرجال . ويعتقد الآن ان هناك علاقة بين سرطان عنق الرحم وبين

الفوضى الجنسية . ان معدل الإصابة بسرطان عنق الرحم يرتفع باستمرار ، ولو أنه يمكن تقليل جزء من هذه الزيادة مع تحسن لتطرق التشخيص المبكر بسبب أن النساء يقدمن عينات من خلايا عنق الرحم للاختبار الا ان الجراح ستانلى واى بمستشفى كوين اليزابث بمدينة جاتسهيد والمحاضر فى جامعة نيوكاسل يقول : «نتيجة لسنوات عديدة من البحث الذى تم فى قسمى فاننى أستطع أن أقرر بصفة قاطعة ان العلاقة الجنسية بطريقة اباحية فوضوية هى أحد أسباب سرطان عنق الرحم ، وكلما تزيد اباحية واستهتار امرأة تزيد نسبة احتمال اصابتها بهذا المرض» .

ونسبة اصابة النساء بسرطان الرئة في تزايد ، فلقد قال أحد متحدثي «حملة أبحاث السرطان» : «إن آخر احصائيات عام ١٩٧١ تبين ان نسبة وفيات الرجال تزيد عن نسبة وفيات النساء بنسبة ٧ : ١ . ولكن هناك ما يثبت ان هذا الفرق يقل بنسبة ٥ ٪ كل عام وواضح ان ذلك بسبب ازدياد نسبة التدخين بين النساء» .

والفرق أيضاً يقل بين نسبة اصابة الرجال والنساء بأمراض القلب القاتلة في عمر الأربعين والخمسين . فلقد قال متحدث لمؤسسة أمراض الصدر والقلب : «انه من المعروف الآن ان معدل السكتات القلبية قد ازداد فى خلال الأعوام العشرة الماضية» .

والازدياد في نسبة تعاطي النساء للمشروبات الكحولية علامة أخرى على ازدياد ما يعانين من ضغوط ، والمستر دبريك ريزرفورد مدير المجلس القومي لبحث مشكلة ادمان الكحول قلق بوجه خاص على ازدياد نسبة المتعاطين للخمور المركزة من قبل المراهقات . ولقد وضح ان الأولاد ميالون لتعاطي البيرة ولكن البنات يبدأن في تعاطي

الكحوليات القوية والخمور المركزة في سن مبكرة ، وهن أكثر عرضة لأن يصبحن مدمنات . ويشعر الدكتور ماكس جلات أن أسباب ازدياد نسبة تعاطي المشروبات الروحية بين النساء هي كما يأتي :

١ – بداية تعاطي هذه المشروبات في سن مبكر .

٢ – سهولة الحصول على المشروبات وتوفرها في مخازن البقالة .

٣ – تغير المناخ الاجتماعي بحيث انه لم يعد أحد ينظر بجبين مقطب للمرأة التي تكثر من الشرب .

٤ – ضغوط محاولة إدارة البيت مع أداء وظيفة خارج البيت .

ولكنه ـ مع آخرين من الأطباء الذين تحدث إليهم ـ وافق على أن الكثير من النساء يلجأن للخمر لأنهن يشعرن بالضيق وبعدم الرضا لبقائهن في البيت في الوقت الذي تستطيع فيه أخريات أن يحصلن على وظائف .

والدكتور جلات يعتقد ان النساء يملن لاساءة استعمال العقاقير أكثر من الرجال . فهن أكثر استعدادًا لتعاطى الحبوب المنومة والحبوب المنقصة للوزن على سبيل المثال . وهو يقول : « تحت تأثير الضغوط جرت عادة الرجال أن يلجأوا للخمر ، وجرت عادة النساء ان يلجأن للحبوب ، أما الآن فان النساء يتعاطين كلا من الخمر والعقاقير » .

هل لهذا من نهاية ؟ ؟ ان الأستاذ ميلز يجمل الاجابة بقوله : « إذا لم تخفف النساء عن أنفسهن فإن العواقب وخيمة على صحتهن وعلى أمن واستقرار المجتمع كله » .

* * *

« ... هكذا أرادوا بالمرأة حينما صمموا لها الفساتين ورسموا لها

الفتحات على الصدر والظهر وحينما حزقوا لها البنطلونات وضيقوا البلوزات .. واستدرجوا المرأة من غرورها حينما قالوا لها : ما أجمل صدرك .. ما أجمل كتفيك .. ما أروع ساقيك .. ما أكثر جاذبيتك .. حينما يكون كل هذا عاريًا .

ووقعت المرأة في الفخ . وخلعت ثوب حيائها . وعرضت جسمها سلعة تنهشها العيون .

وقالوا لها : البيت سجن وارضاع الأطفال تخلف وطهى الطعام بدائية . مكانك إلى جوار زوجك فى المصنع وفى الأتوبيس وفى الشارع .

وخرجت المرأة من البيت لتباشر ما تصلح له من أعمال وألقت بأطفالها إلى الشغالة .. وقالوا لها : جسمك ملكك أنت حرة فيه بلا حسيب وبلا رقيب ، وليس لك الا حياة واحدة وكل يوم يمضى من أيامك لن يعود . عيشى حياتك بالطول وبالعرض .. أنفقى شبابك قبل أن ينفد واستثمرى أنوثتك قبل أن تشيخ ولا تعود لها سوق . وساهم الفن بدوره ليروج هذا المفهوم . ساهمت السينما والمسرح والمجلة والكتاب والتليفزيون والاذاعة والأغنية والرقصة والقصيدة .. ودخلت الغواية إلى البيوت من باب ، وتسربت إلى العقول وتخللت الجلد وأشعلت الخيال بسعار الشهوات ، وأمرضت القلوب بداء الخيانة وأصبحت المثل العليا فى المجتمع هى أمثال مارلين مونرو وكلوديا كاردينالى ولولو بريجيدا .

وأصبحت البطلات صاحبات المجد عندنا أمثال شفيقة القبطية وبمبة كشر ومنيرة المهدية ، وأصبحت القدوة هى زوجة هربت من بين الزوجية [1] .

---

(١) دكتور مصطفى محمود : جريدة الأهرام .

وظنت المرأة بنفسها الشطارة والفهلوة . وظنت أنها تقدمت على أمها وجدتها حينما اختارت بنفسها هذه المسالك والحقيقة أنها استدرجت من حيث لا تدري وكانت ضحية الايحاء والاستهواء وبريق الألفاظ وخداع الفن وأجهزة الاعلام والرأي العام الموجه الذي تصنعه حضارة مادية وثنية لا تؤمن الا باللحظة ولا تعترف الا بلذائذ الحس .. الصنم المعبود لكل انسان فيها هو نفسه وهواه .. والمحراب هو فاترينة البضائع الاستهلاكية والهدف الذي من أجله يلهث هو اشباع الحاجات العاجلة .

يقول الأستاذ عمر بهاء الأميري[1] :

توقفت ليلة في جنيف ، وفي ناد ليلي ، كنت أجلس وحيداً . أتأمل الناس . جاءت إحدى المضيفات تجلس بجوارى ، وسألتنى : أتشرب هنا عصير البرتقال ؟

قلت : نعم .

قالت : وهل يمنعك الطبيب من شرب الكحول ؟

قلت : طبيب الكون الأعظم ، الله قد حرمها ، وأنا مسلم مطيع .

قالت : فقدم لي كأساً من الخمر .

قلت : معاذ الله كيف أقدم الأذى للناس ، وقد صنت عنه نفسي ؟

قالت : وماذا يهمك من أمري ؟

قلت : نحن من أسرة واحدة .

عجبت ، وسألت : كيف ؟

---

(١) سفير سوري سابق . وشاعر إسلامي كبير .

قلت : أسرة الإنسانية ، انها كلها اسرة المسلم .

قالت : ومن أنبأك أني انسانة ؟ لقد أنسيت ذلك من زمن طويل ..

قلت : بل انسانة . والمسلم لا ينسى الحق .

قالت : دعك من إنسانيتي . أنا هنا لأمارس حيوانيتي ..

قلت : وليس مكانك هنا .

قالت : وأين ؟

قلت : إلى جوار سرير طفل .. في كنف زوج .

فأخذتها حرقة ، وتساقطت من عينيها دموع ، وتمتمت :

ـ ما أرحمك .. وما أظلمك ... ذكرتني بانسانيتي ، فأحييتني حتى أبكيتني ولكن ، ما الجدوى ؟ إنسانة . ولا أستطيع أن أعيش إنسانيتي ربع ساعة نتابع حديثنا ؟ فإن علي أن أقوم فورًا ، لأمارس « حيوانيتي » مع سواك .

وقد أخفقت معك ، لأنها مهنتي . ونظرات صاحب النادي تلاحقني لذلك بضراوة لا رحمة فيها :

البائساتُ المائساتُ
كآلة من غير روحْ
الناشراتُ شذىً
ومن أعماقهن أذىً يفوحْ
الضاحكاتُ وقد طوينَ
قلوبهن على جروحْ

القسم الثانى من الحوار

* الإسلام بين تقصير المسلمين ... وقصورهم ..
* لقاء فى المسجد ..
* مقال عن تعدد الزوجات فى
«سيدنى هيرالد» Sydy Morning Herald
* ماذا يقول الكتاب المقدس ...
* اغتصاب امرأة .. بعد قتل زوجها على يدى نبى .. !
* سبعمائة زوجة وثلاثمائة جارية ... للنبى سليمان .. !
* التعدد شريعة اليهود والنصارى ... قبل المسلمين ..
* أمثلة من التاريخ ..
* لكن لماذا التحامل على الإسلام .. ؟
* حوار فى لندن ..
* نساء يطالبن بتعدد الزوجات .. !
* جوانا ... المسكينة ..
* قصة الفلاح «لويجى» وزوجاته ... الست .. !
* عندما يصبح الحلال جريمة .. والحرام تقدما وحضارة .. !

انتهى الفصل الأول من الحوار في قاعة المحاضرات بالجامعة ... ولكن القضايا التي فجرها هذا الحوار بقيت معلقة في انتظار البحث والمناقشة ..

لقد أحدث هذا الاحتكاك بعقول الطالبات شرارة الشوق ، إلى المعرفة وولد فى قلوبهن الرغبة إلى مزيد من الوضوح والصراحة ..

وبقدر فرحتي لهذه الاستجابة السريعة ... شعرت بالأسى والحسرة لتقصير المسلمين في ارتياد هذه الآفاق المهيأة لمعرفة الإسلام معرفة صحيحة ... ولكن اين المسلمون ؟

أقصد أين دعاة الإسلام في هذه البلدان التي تحترم العقل .. وتسعى وراء الحقيقة بأقصى ما تستطيع من قوة وجهد .. ؟

فى أوربا وأميركا تسمع عن جمعيات ومؤسسات ومراكز تحمل كلها اسم الإسلام .. وتغطى جدران مكاتبها بشعارات وكلمات مقتبسة من أحاديث النبي والقرآن ..

وتبحث عن أثر هذا كله في الناس والحياة ... فلا تجد شيئًا ...

وتحاول معرفة ما تقوم به هذه المراكز والمؤسسات فتعض بنانك غيظاً .. !

* * *

فإذا نظرت إلى الجانب الآخر من الصورة ترى عجبا .. .. نشاط وحركة .. تخطيط ودراسة .. كتب ونشرات تطير شرقاً وغرباً . أناس مستعدون للقائك نهاراً وليلاً . وهم على استعداد لاستضافتك إذا رأوا فيك شخصاً مهماً ...

يقول الدكتور حسين مؤنس : ان عدد المبشرين في الدنيا اليوم ٢٢٠ ألفاً منهم ١٣٨٠٠٠ كاثوليكي ، والباقي وعددهم ٨٢٠٠٠ من البروتستانت . في أفريقيا وحدها ٩٠٠٠ ١١ مبشر ومبشرة ينفقون بليوني دولار في السنة ، والذين يدفعون هذه الأموال يعرفون ان هذا هو أحسن وجه ينفق فيه المال اليوم . لأن الذي سيكسب المعركة الدينية في أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية . انهم يعرفون انهم لا يخوضون معركة دينية فقط بل اقتصادية وسياسية كذلك ، وكل مليم ينفق في الدعوة الدينية اليوم سوف يؤتي أضعاف قيمته غداً ، فأين نحن من هذه المعركة ؟ .

انني لا أتكلم بلغة الدين فقط ، بل بلغة السياسة والاقتصاد أيضاً .. فإن دخول الوثنيين في الإسلام معناه دخول أراضيهم وثرواتهم في رحابه أيضاً . ونحن لو كسبنا هؤلاء الناس إلى ديننا فنحن سنكسبهم في الوقت نفسه إلى لغتنا وحضارتنا وإلى معسكرنا السياسي ، لأن معارك الحضارة شاملة ، أي أن المسلمين إذا كسبوا بلداً وثنياً إلى جانبهم أصبحت ثرواته بالتالي في معسكر الإسلام .

ولكن هذه معارك لا يعرف المسلمون عنها شيئاً ، وفي اعتقادي أنهم لا يريدون أن يعرفوا لكي يظلوا يرددون أنشودة الإسلام الذي يتقدم في كل مكان من تلقاء نفسه بصورة مذهلة . وهذا هو الكلام الذي قاله أحد الخطباء في احتفالات العيد الألفي للأزهر ، وقد صفق الحاضرون له طويلاً ، وجعلوا يهنئون بعضهم بعضاً عليه .

وبعضهم قال : ان مجاهل أفريقيا فيها ألوف المسلمين. وإن طلبة الأزهر من أهالي البلاد يعملون بجد في نشر الإسلام هناك . وأنا أسمع ذلك وأتأسف لإيمان المسلمين بالأوهام واستراحتهم إلى الأحلام . فالذي أعلمه علم اليقين أن حوض الكونغو كله ليس فيه داعية اسلامي واحد ، لا أزهري أو غير أزهري .

والطالب الأفريقي الذي يدرس في الأزهر ويعود إلى بلاده لا يذهب إلى المجاهل بل يستقر في كينشاسا ويطلب الوظيفة ، والحكومة تعطيه الوظيفة وتعينه في وظيفة إدارية لكي تبعده عن التعليم أولاً . ولكيلا يعود إلى قريته في دواخل البلاد بعد ذلك .

ومن باب الرغبة في المعرفة فقط بحثت في مكتبة الأزهر ومكتبة مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر عن خريطة أو أطلس لأفريقيا فلم أجد . وفي الصيف الماضي زرت مكتبة « مجلس الكنائس العالمي » في جنيف فوجدت هناك كتباً لا تحصى عن أفريقيا وأحصيت خمسة أطالس ، ووجدتهم يعدون طبعة جديدة من الأطلس الديني للعالم ، ولم أستطع شراء نسخة من هذا الأطلس ، لأنه خاص بهم ورفضوا أن يعيرونى إياه ، وبكل صعوبة تركوه لى فى المكتبة فقضيت يومًا أتصفحه وأدون مذكرات منه.

وفي اليوم التالي عندما ذهبت قالوا لي : ان هذا الأطلس غير موجود . لقد أخفوه عني . وبعد ظهر اليوم نفسه رفضوا السماح لي بالدخول إلى المكتبة ، فاحتججت ورفعت صوتي ، وأخيراً سمحوا لي بالدخول ، ولكني لم أجد كتاباً واحداً مما كنت أقرأ . وقد غضبت عليهم ولكنني احترمتهم لأنهم ناس يقظون . انهم يعرفون انهم يخوضون معركة ، وأنا في نظرهم عدو ، وهم يعاملونني على هذا الأساس .

وأذكر أنني ترددت كثيراً جداً على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد . وفي فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها : « أيها المبشر الشاب : نحن هنا لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير .

إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري الا التعب والمرض . كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن في كوخ فقير . أجرك كله ستجده عند الله إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء » .

ورغم ذلك فقد كنت أجد مئات الشبان يدرسون في ذلك المركز . وكنت أجدهم يقيمون في العالم الكاثوليكي كله يوماً يسمونه يوم المبشر يجمعون فيه الملايين لتنفق كلها في سبيل التبشير . ورأيت مرة في ميناء مالقة في اسبانيا سفينة كاملة خصصت للمبشرين . وعلى هذه السفينة قيل لي إن هناك ٣٠٠٠ مبشر ومبشرة ، وكلهم ذاهبون إلى أفريقيا .

انهم لا يعطون المبشر الا الطعام الخشن ، وهذه السفينة ستنزل

في كل ميناء أفريقي بضع مئات من رجالها ، والكثيرون منهم سيتسللون إلى دواخل البلاد دون اذن السلطات ، لأن السلطات بروتستانتية في بعض البلاد ، وهي لا تسمح بدخول المبشرين الكاثوليك ولكنهم يدخلون ويوغلون في الغابات ، والعشرات منهم يقتلون دون ان يطالب بدمهم أحد ، لأنهم متسللون . والكنيسة الكاثوليكية تحتج على قتلهم . ولكنها ترسل في الوقت نفسه بدل المفقود الواحد اثنين .

* * *

وفي تقرير سنة ١٩٨٠ عن النشاط التبشيري البروتستانتي أقرأ ان عدد المبشرين البروتستانت الذين يعملون فى أميركا اللاتينية ٩٢٥٠ في مقابل ٢١٨٠ مبشراً من الولايات المتحدة وحدها . وهؤلاء المبشرون البروتستانت يتجهون إلى مواطن قبائل الهنود الحمر في كولومبيا وبوليفيا والأكوادور والبيرو ، ومن هناك يتسلل الألوف منهم إلى البرازيل ، لأن حكومة البرازيل الكاثوليكية لا تسمح لهم بالدخول والعمل ، لأنهم يعرفون ان التبشير عملية دينية في الظاهر ، ولكنها سياسية في الحقيقة .

ثم اننا في عصر يختلط فيه كل شيء ، فالدين واللغة والاقتصاد والسياسة شيء واحد ، والمعركة التي نخوضها معركة واحدة ولكنها متعددة الجبهات ، ورجل التبشير الأميركي أو الانجليزي أو الفرنسي رجل سياسة في الوقت نفسه[1] ، وجانب كبير من الأموال التي تنفقها الولايات المتحدة على التبشير يأتي من ميزانية وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع لأنها كلها معركة أميركية واحدة .

---

(١) اقرأ في هذا الموضوع « التبشير والاستعمار » للدكتورين عمر فروخ ـ مصطفى الخالدي .

ونحن نتعجب من ذلك ونقول : لماذا يتحاربون ما داموا كلهم مسيحيين ؟ ولكن الحقيقة ان الدين سياسة وأن الهندي الأحمر الذي يدخل البروتستانتية على أيدي مبشرين أميركيين سيتكلم الانكليزية ويصبح جزءاً من الامبراطورية الأميركية . أما الذي يتنصر كاثوليكياً فسيتكلم الإسبانية . ويخرج من سلطان الأميركيين .

لهذا لاندهش إذا قرأنا في دراسة نشرتها مجلة « تايم » عن المبشرين الجدد في ديسمبر ١٩٨٢ ان ١٢٦ مبشراً بروتستانتيا قتلوا في كولومبيا وحدها خلال عشر سنوات ومن ١٩٤٨ إلى ١٩٥٨ ، وفي نفس الوقت أغلقت الحكومة الكولومبية الكاثوليكية في أميركا الجنوبية ٢٧٩ مدرسة ، و ٦٠ كنيسة بروتستانية .

وقد هدأت الحرب بين البروتستانت والكاثوليك هناك خلال ولاية البابا يوحنا الثالث والعشرين . ثم تجددت فى ولاية البابا الحالى يوحنا بولس الثانى . ولهذا فإن حكومة الولايات المتحدة غير مرتاحة لرحلات البابا الكثيرة . وبتحرض منها فى الغالب أعدمت حكومة نيكاراجوا ستة من الرهبان المبشرين الكاثوليك عشية زيارة البابا لأميركا الوسطى . وكان الأمل أن يغضب البابا ولايقوم بالزيارة . ولكنه ذهب . لأن المسألة مسألة حرب وصراع أمبراطوريات .

ومن أغرب ما نقرأ من أخبار هذا الصراع الديني السياسي ان راهبين فرنسيين هما فرانسوا جوريو (٤٠ سنة) وارستيد كاميو (٤١ سنة) حرضا الهنود الحمر في غابات الأمازون على التمرد ضد الاقطاعيين البرازيليين وعلى الثورة وانتزاع الأراضي ، وعندما ثار الزراع التعساء وأحرقوا بيوت الاقطاعيين هاجمهم الجنود البرازيليون وقتلوا منهم

٤٧ رجلاً ، وقبضت حكومة البرازيل على الراهبين الفرنسيين وحكمت المحكمة عليهما بالسجن عشر سنوات . وقد حاول البابا يوحنا بولس الثاني التدخل للافراج عنهما فرفضت حكومة البرازيل . وبعد ذلك مباشرة أرسلت احدى جمعيات التبشير الأمريكية البروتستانتية مبشرين إلى المنطقة ومعهم أدوية وأطعمة ونقود ليكسبوا الثائرين للجبهة البروتستانتية

انها حرب إذن يخوضونها لأنهم يقظون يعملون للمستقبل ، ونحن نبذل جهوداً ولكنها لا تذكر إلى جانب ما يبذله الآخرون . فعدد الدعاة المسلمين في أفريقيا لا يزيد على ثلاثة الآف ، فأين هذا العدد من ١١٩٠٠٠ ؟ وفي جمهورية أندونيسيا ـ وهي مسلمة ـ ما لا يقل عن ٤٠٠٠ مبشر كاثوليكي وبروتستانتي ، وفي جزيرة بورنيو ـ وهي جزيرة اسلامية داخلة في دولة أندونسيا ـ أكثر من ١٠٠٠ مبشر ، ثم يحرصون على انشاء المساجد أو إرسال الدعاة إلى جنوب السودان وهي بلاد اسلامية عربية .

ومع احترامي لكل الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية لا بد أن أقول ان الجهود الحالية لا تكفي قط لكي نكسب معركة المصير هذه . من رأيي أن نعتبر هذه المعركة معركتنا الأولى ، وأن نكرس لها أقصى ما نستطيع من جهد لأنها معركة المستقبل وإذا جاز لنا أن نتراخى في ميادين أخرى فان التراخي هنا قاتل .

وأنا أقول هذا الكلام ونظري متجه إلى الغد ، إلى سنة ٢٠٠٠ وما بعدها . ولا أمل عندي في أن يفهمني أولئك الذين لا يعرفون سوى

الاحتفال بالماضي لأنهم يعيشون وعيونهم تنظر إلى الوراء[1] .

* * *

هكذا يعملون .. وهكذا نحن غافلون ونائمون ..

وهل يصدق أحد أنه لا تزال هناك في أوروبا وأمريكا قطاعات كثيرة من الناس لا تعرف عن الإسلام شيئاً .. ؟

لقد زارني صديق بينما كنت أكتب هذا الحوار فحدثني عن بعض الفرنسيين الذين لا يعرفون عن النبي محمد الا انه فيلسوف ظهر فى جزيرة العرب .. !

وفي ألمانيا ذهبت سيدة ألمانية إلى مسجد برلين وطلبت من أمام هذا المسجد رؤية « الجمل » الذي يعبده المسلمون داخل هذا المسجد .. ! ! !

وفي إسبانيا ـ التي نحن أخوال وأعمام شعبها ـ سألت احدى الإسبانيات مذيعة مصرية عن ديانتها وهل هي مسلمة أم محمدية ؟

فلما استفسرت المذيعة المصرية عن الفرق بين المحمدي والمسلم أجابتها المرأة الإسبانية قائلة :

ـ ان المسلم هو الذي يعبد الشمس . أما المحمدي فهو الذي يعبد محمداً .. !

وبالرغم من هذا كله .. فإنك تسمع عن مؤسسات وجمعيات ومراكز إسلامية تنتشر هنا وهناك .. فإذا حاولت أن تعرف أثراً لكل هذه المؤسسات الإسلامية فلن تجد شيئاً .. ولن تسمع جواباً ..

* * *

---

(١) دكتور حسين مؤنس ـ المجلة عدد ١١٦ .

لقد أحدث هذا الحوار مع طالبات جامعة سان دى فنسنت شرارة الشوق كما قلت في مقدمة هذا الفصل . ولكن العودة إلى مقر هذه الجامعة لاستئنافه مرة ثانية لم يعد ممكناً » .

ان منظر الراهبة « الزا » لم يغب عن خاطري حتى هذه اللحظة .. فقد ضربت بيدها على ظهر زميلاتها وهي تجرجرهن خارج القاعة .. وبالرغم من جلوسهن بجواري ... فقد مضين مسرعات دون التفوه بكلمة .. غير ان المفاجأة جاءت في مكالمة تليفونية من خمس طالبات يردن لقائي بعد هذه المكالمة ..

فلورا . و.. كارول . و... جانيت .. و.. ماري .. و.. نانسي ... حضرن جميعاً إلى المسجد لاستئناف الحوار الذي توقف أمام سدود الكراهية والبغضاء والتعصب ...

* * *

قالت الطالبة « فلورا » بعد أن نشرت أمامها صحيفة سيدني مورننج هيرالد : Sydney Morning Herald: ماذا تقول عن هذا الكلام المكتوب في هذه الصفحة ؟

وتناولت الصحيفة لأقرأ ما أشارت إليه الطالبة في الصفحة الحادية عشرة : كان موضوعاً كتبه أحد القساوسة عن الإسلام والتعدد .. تعدد الزوجات لا تعدد الآلهة بالطبع ... وأن هذا التعدد يتنافى مع العدالة والمساواة التي تقررها مواثيق حقوق الإنسان في هذا العصر ...
طويت الصحيفة مبتسماً ثم قلت :

ـ أني أشك أن يكون كاتب هذا المقال قسيساً . أو حتى رجلاً من خدام الكنيسة ! .

ونظر الطالبات بعضهن إلى بعض في دهشة . ثم تساءلن عن السبب في هذا الحكم المتسرع على كاتب هذه المقالة .. ؟

فأجبت موضحاً هذه النقطة :

لو كان كاتب هذه الكلمة من رجال الكنيسة لما سقط هذه السقطة ولما فضح نفسه أمام قراء هذه الصحيفة ... !

وازدادت الطالبات دهشة . وقد بدا على وجوههن قلق مشوب بالحيرة ...

ثم قلت مبدداً هذا القلق والحيرة :

لوكان هذا الكاتب على علم بما جاء فى الكتاب المقدس . أو قرأ أسفار العهد القديم كما هو واجب على أى كاهن أو قس .. لما أشار إلى هذه القضية التى خسرها ـ مقدمًا ـ دون حاجة إلى الدفاع عن النفس .

ذلك .. لأن العهد القديم الذي هو أساس الشريعة .. والذي جاء المسيح ليؤكد ما فيه .. لا لينقضه ويهدمه .. هذا العهد القديم الذي هو أصل الشريعة يعترف بهذا التعدد الذي يستنكره الكاتب ، وينسب إلى داود وسليمان أموراً لا تليق برسولين ـ من رسل الله ـ ننزهما نحن المسلمين من مثل هذه المثالب والمصايب . ! وبدون حاجة إلى مقدمة .. أو الدخول في متاهات جدلية عقيمة . تعالين نقرأ معاً ما جاء في الكتاب المقدس مباشرة .. في الاصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني يتحدث هذان الاصحاحان عن قصة نبي الله داود مع زوجة قائده أوريا الحثي .

« ... وأما داود فأقام في أورشليم وكان في وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك . فرأى من على السطح امرأة تستحم ... وكانت جميلة المنظر جداً .

... فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها ثم رجعت إلى منزلها . وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى .. فأرسل داود إلى يؤآب يقول : أرسل إلى أوريا الحثي ـ زوج المرأة ـ ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره ..

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يؤآب وأرسله بيد أوريا . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .. .. .. ومات أوريا الحثي ... فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات رجلها ندبت بعلها ... ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة[1] .

فأرسل الرب ناثان إلى داود فجاء إليه وقال له ، كان رجلان في مدينة واحدة ... واحد منهما غني والآخر فقير .. وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً وأما الفقير فلم يكن له الا نعجة واحدة صغيرة ... فجاء ضيف إلى الرجل الغني .. فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه . فأخذ نعجة الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه ..

فحمى غضب داود على الرجل جدًا وقال لناثان : حي هو الرب . إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف . لأنه فعل

---

(١) لقد نقلت هذا النص من الكتاب المقدس . واكتفيت من هذا النقل بالعبارات التي توضح موضوع البحث . دون اضافة كلمة من خارج النص .

هذا الأمر ولأنه لم يشفق ... فقال ناثان لداود أنت هو الرجل ...

« ... هكذا قال الرب إله اسرائيل » أنا مسحتك ملكاً على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول ... وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك ... وأعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا وان كان ذلك قليلاً أزيد لك كذا . وكذا ... لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه .. قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة واياه قتلت بسيف عمون . والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة .

هكذا قال الرب ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين الشمس .. » .

* * *

ان الحقائق التي يمكن استخلاصها من هذا النص الوارد في هذين الاصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني يمكن تلخيصها فيما يأتي :

أولاً : ـ اتهام أحد الأنبياء (داود) بارتكاب جريمة الزنا مع امرأة أجنبية هي زوجة أوريا الحثي ..

ثانياً : ـ اتهام داود عليه السلام بالخيانة والغدر بأحد قواده بأن أرسله إلى ميدان القتال مع التوصية بقتله في الحرب .. ليخلو الجو بينه وبين زوجة هذا القائد ..

ثالثاً : ـ الزواج من امرأة أوريا بعد انتهاء فترة الحداد المعروفة عند وفاة الزوج ...

رابعاً : ـ أنه كان لداود نساء كثيرة كما يقول النص على لسان الرب « .. أعطيتك بيت سيدك . ونساء سيدك ... » .

وبالرغم من عدد النساء اللائي كن في عصمته الا أنه تآمر على قتل أوريّا لأنه طمع في الزواج من امرأته ..

* * *

وقبل أن ننتقل إلى نص آخر من الكتاب المقدس أريد أن أسجل بأن الإسلام يرفض اتهام أي نبي بتهمة من التهم الواردة في هذا النص .

فنحن كمسلمين ننزه الأنبياء جميعاً والرسل جميعاً من ارتكاب أية فاحشة أو اقتراف أية جريمة وبخاصة في كل ما يتصل بالعرض والشرف ..

* * *

والآن لننتقل إلى نص آخر في الكتاب المقدس وهو النص الوارد في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول :

« ... وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون .. »

مؤابيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحيثيات من الأمم التي قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون إليهم ، ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم .

فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري . فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في

زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب .. » .

* * *

ولا أظن أنكن بحاجة إلى توضيح ما جاء في هذا النص الذي يقرر :

أولاً : أنه كان في عصمة سيدنا سليمان سبعمائة زوجة من الحرائر.

ثانياً : أنه كان يملك بالاضافة إلى هذه المئات السبع من الزوجات ثلاثمائة من السراري .

ثالثاً : اتهام سيدنا سليمان بالضلال والزيغ حيث مال إلى آلهة أخرى غير الله الواحد الأحد ...

* * *

بعد هذا كله أعود إلى سؤال الآنسة « فلورا » عن الإسلام والتعدد .. أو عن كاتب المقال المنشور في صحيفة سيدني مورننج هيرالد ..

لو كان كاتب هذا المقال قسيساً ما وقع في هذا الخطأ . فالكتاب المقدس الذي يبشر به بين الناس حجة للإسلام ضد هذه الافتراءات .. وشتان ما بين التعدد الذي « قيده » القرآن والتعدد المطلق كما ورد في التوراة ..

* * *

وإذا كان من المعروف أن المسيحيين لا يمارسون تعدد الزوجات ، فإن فريقاً من الباحثين يرى أن تعاليم المسيحية الأولى لم تكن تتضمن مثل هذا التحريم ، ويدلل على رأيه بحجج قوية نذكر بعضاً منها فيما يلي :

أولاً : أن الأنجيل لا يتضمن نصاً واحداً يحرم تعدد الزوجات ، ومعروف أن السيد المسيح ولد وبشر بتعاليمه في بيئة يهودية ، واليهود في ذاك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه ، لا سيما الأغنياء والرؤساء منهم . ويبدو غريبًا والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح إلى تحريم تعدد الزوجات ولا ينص على هذا التحريم صراحة . وفضلاً عن ذلك فإن الأغنياء بصورة خاصة هم الذين كانو يمارسون تعدد الزوجات . وقد هاجم السيد المسيح أغنياء اليهود ورؤساءهم ، وندد برذائلهم . فلو قصد حقيقة إلى تحريم تعدد الزوجات لما سكت عليه ، بل لهاجمه بوصفه إحدى هذه الرذائل .

ثانياً : ان لوثر مؤسس أحد المذاهب الرئيسية في المسيحية كان ينظر إلى تعدد الزوجات بشيء كثير من التسامح ، فقد قال فيه : « إن الرب لم يحرمه وابراهيم نفسه الذي كان مسيحياً كاملاً كانت له زوجتان ، حقاً ان الرب لم يسمح بمثل هذه الزيجات الا لبعض الرجال في التوراة ، وفي ظل ظروف خاصة ، وأن على المسيحي الذي يريد الاقتداء بهم أن يثبت أن ظروفه مشابهة لهذه الظروف ، الا أن تعدد الزوجات أفضل يقينًا من الطلاق » .

ثالثاً : أن بعض الفرق المسيحية ناضلت بشدة من أجل تقرير تعدد الزوجات وممارسته ، من هذه الفرق مثلاً الأنابتيست Anaboptists في ألمانيا (في منتصف القرن السادس عشر) ، حيث كانوا يبشرون بتعدد الزوجات علانية ، ويقولون إن المسيحي الحقيقي يجب أن تكون له زوجات متعددات . ومنها المورمون Mormons في الولايات المتحدة الأمريكية (في أوائل القرن التاسع عشر) الذين

كانوا يمارسون تعدد الزوجات ، وينظرون إليه باعتباره نظاماً إلهياً ، ومن الطريف أنهم كانوا ينظرون إلى الزوجة الأولى بوصفها الزوجة الحقيقية ، ومن حقها وحدها أن تحمل اسم زوجها ولقبه .

رابعاً : أن بعض ملوك أوروبا وأمرائها في العصر الوسيط مارسوا تعدد الزوجات نذكر منهم شارلمان وفيليب أمير هيس وفردريك جيوم أمير بروسيا فقد كانت لكل منهم زوجتان .

ومن رأي هذا الفريق من الباحثين أن تحريم تعدد الزوجات في أوروبا يرجع إلى تأثير التقاليد اليونانية والرومانية ، فقد كان اليونان والرومان يتبعون مبدأ وحدة الزوجة وذلك قبل ظهور المسيحية بمئات السنين . ولم يكن الرجل لدى الرومان في البداية يعاقب إذا اتخذ زوجة ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول ، وإبرام الرجل زواجاً ثانياً كان يعتبر في حد ذاته منطوياً على فصم للزواج الأول ، وفيما بعد عوقب الرجل الذي يتزوج ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول ، ومن عجب ان الذي عاقب على الجمع بين امرأتين هو الأمبراطور دقلديانوس الذي اقترن اسمه باضطهاد المسيحيين اضطهاداً شهيراً في التاريخ[1] .

وينتهي هذا الفريق من الباحثين إلى أن تعدد الزوجات لم يحرم في المسيحية إلا في القرون الوسطى ، ومن جانب الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة .

---

(١) انظر في هذا الموضوع : تعدد الزوجات لدى الشعوب الأفريقية د . محمود زناتي ص ٦٩ وما بعدها ..

وبعد :

فهناك مثل عربي يقول : رمتني بدائها وانسلت ..

أي اتهمتني بما فيها من أمراض وعلل . ثم وقفت بعيداً عني تقول للناس :

ابتعدوا عن هذا المعلول حتى لا تصيبكم عدوى ما فيه من مرض ..

وهذا هو شأن مفكري الغرب وقادته مع الإسلام .. ومع المسلمين في كل مكان ..

لكن ... لماذا ؟

بهذا السؤال تساءلت الطالبات مندهشات من هذا الموقف ...

قلت : إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى وقت أطول نسترجع فيه معاً أبعاد هذه القضية منذ نشأت ... وبعبارة أوضح .. نستعرض فيه موقف الغرب من الإسلام موقفاً بعد موقف .. غير أني أزيدكم وضوحاً برواية هذا الحوار الذي كان بين عالم إسلامي كبير هو المرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي وبين البروفسور أندرسون رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية الشرقية في كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن :

يقول المرحوم الشيخ مصطفى السباعي[1] :

حين سافرت إلى أوروبا في عام ١٩٥٦ موفداً من جامعة دمشق في رحلة استطلاعية للجامعات والمكتبات العامة ، كان ممن اجتمعت بهم في لندن ... « البروفسور أندرسون » رئيس قسم قوانين الأحوال

(١) المرأة بين الفقه والقانون .

الشخصية الشرقية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن ، وجرى بيننا ـ فيما جرى من الأحاديث ـ نقاش حول تعدد الزوجات في الإسلام .

ـ سألني أندرسون : ما رأيك في تعدد الزوجات ؟

ـ قلت له : نظام صالح يفيد المجتمعات في كثير من الظروف إذا نفذ بشروطه .

قال : أنت إذا على رأي محمد عبده بوجوب تقييده ؟

قلت : قريباً من رأيه لا تماماً ، فإني أرى أن يقيد بقدرة الزوج على الانفاق على الزوجة الثانية ليمكن تحقيق العدل بين الزوجات كما طلب الإسلام .

قال : وهل مثلك في هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات ؟

قلت : إني أسألك فأجبني بصراحة . من كانت عنده زوجة فرضت مرضاً معدياً أو منفراً لا أمل بالشفاء منه . وهو في مقتبل العمر والشباب فماذا يفعل ؟ هل أمامه الا ثلاث حالات : أن يطلقها ، أو يتزوج عليها ، أو أن يخونها ويتصل بغيرها اتصالاً غير مشروع ؟

قال : بل هناك رابعة ، وهي : ان يصبر ويعف نفسه عن الحرام .

قلت : وهل كل إنسان يستطيع أن يفعل ذلك ؟

قال : نحن نستطيع أن نفعل ذلك بتأثير الايمان في نفوسنا .

فتبسمت وقلت : أتقول هذا وأنت غربي ؟ أنا أفهم أن يقول هذا القول مسلم أو مسيحي شرقي ، فقد يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام ، لأن محيطه لا يهيىء له وسائل الاختلاط بالمرأة في كل ساعة يشاء .

ولأن تقاليده وأخلاقه لا تزالان تسيطران على تصرفاته ، ولأن الدين لا يزال له تأثير في بلاده .

أما أنتم أيها الغربيون الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها واغوائها الا فعلتم ، حتى لم تعودوا تستطيعون أن تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون أن تروا المرأة أو تخالطوها منذ تغادرون البيت حتى تعودوا إليه . أنتم الذين يضج مجتمعكم بالأندية والبارات والمراقص ، وتغص شوارعكم بالأولاد غير الشرعيين .. تدعون ان دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة ، وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب ، وتصك الآذان ، وتشغل دوائر القضاء ؟

قال : إنني أخبرك عن نفسي ، فأنا أستطيع أن أضبط نفسي وأصبر .

قلت : حسناً ، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من الغربيين أمثالك بالنسبة إلى الذين لا يصبرون .

قال : لا أنكر أنهم قليلون جداً ..

قلت : وهل ترى أن التشريع يوضع للقلة التي يمكن أن تعد بعدد الأصابع ؟ أم للكثرة والجمهرة من الناس ؟ وما فائدة التشريع الذي لا يستطيع تطبيقه إلا أفراد محدودون ؟

فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا ..

بعد هذا يحق لنا أن نتعجب من إثارة الغربيين للضجة على الإسلام والمسلمين حول تعدد الزوجات ، ونتساءل :

ألا يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا على حق في اثارة هذه الضجة ؟

ألا يشعرون بأن من يقتصر على أربعة خير ممن يجدد كل ليلة زوجة ؟ وأن من يلتزم نحو من يتصل بها بمسؤوليات أدبية ومالية أنبل ممن يتخلى أمامها عن كل مسؤولية ؟

ألا يشعرون أن انجاب نصف مليون ولد بصورة مشروعة أكرم وأحسن للنظام الاجتماعي من انجابهم بصورة غير مشروعة ؟

في اعتقادي أنهم يشعرون بذلك لو تخلوا عن غرورهم من جهة وتعصبهم من جهة أخرى .

أما الغرور فهو اعتقادهم أن كل ما هم عليه حسن وجميل ، وأن ما عليه غيرهم من الأمم والشعوب ـ وبخاصة المستضعفة منها ـ سيئ وقبيح .

وأما التعصب فهو هذا الذي ما زالوا يتوارثونه جيلاً بعد جيل ضد الإسلام ونبيه الكريم ...

وأذكر حين كنت فى دبلن «أرلندا» عام ١٩٥٦ ، أن زرت مؤسسة الآباء اليسوعيين فيها وجرى حديث طويل بينى وبين الأب المدير لها ، وكان مما قلته له :

لماذا تحملون على الإسلام ونبيه فى كتبكم المدرسية بما لا يصح أن يقال فى مثل هذا العصر الذى تعارفت فيه الشعوب والتقت الثقافات ؟

فأجابني : نحن الغربيين لا نستطيع أن نحترم رجلاً تزوج تسع نساء .. !

قلت له ، هل تحترمون نبي الله داود ، ونبيه سليمان ؟

قال : بلى . وهما عندنا من أنبياء التوراة .

قلت : إن نبي الله داود كان له تسع وتسعون زوجة أكملهن بمائة بالزواج من زوجة قائده ، « أوريا » كما هو معلوم .

ونبي الله سليمان كانت له ـ كما جاء في التوراة ـ سبعمائة زوجة من الحرائر وثلاثمائة من الجواري وكن أجمل أهل زمانهن ، فلم يستحق احترامكم من يتزوج ألف امرأة ، ولا يستحق من يتزوج تسعاً ؟ لماذا لا يستحق احترامكم من تزوج تسعاً ثمانية منهن ثيبات ، وأمهات ، وبعضهن عجائز ، والتاسعة هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوجها طيلة عمره ؟ ! !

* * *

والشريعتان الدينيتان السابقتان للإسلام ـ وهما الاسرائيلية والمسيحية ـ مختلفتان فى أحكام زواج وفى النظر إلى معناه وغاية من الوجهة الروحية .

فالشريعة الإسرائيلية أباحت تعدد الزوجات بمشيئة الزوج حسب رغبته واقتداره كما قرأنا وسمعنا من أخبار العهد القديم ان داود وسليمان عليهما السلام ـ وهما ملكان نبيان ـ جمعا بين مئات من الزوجات الشرعيات والاماء ، ولم يلحق بهما اللوم إلا لما نسب إلى داود من الزواج بامراة قائده «أوريا» بعد تعريضه للقتل في الحرب ، وما نسب إلى سليمان من مطاوعته لإحدى زوجاته في اقامة الشعائر المخالفة للدين .

وكما جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صمويل الثانى . يقول النبي ناثان لداود : « أنا مسحتك ملكاً على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك ... لماذا أخذت امرأة أوريا لك امرأة ؟ ...

وكما قرأنا في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول ان الملك سليمان : « أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : مؤآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السراري . فأمالت نساؤه قلبه .. » .

ويقول نيوفلد صاحب كتاب « قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين » . « ان التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على اطلاقه . وأن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات . وان قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التي اختلط بها بنو اسرائيل كانوا جميعاً على مثل هذه الشريعة في اتخاذ الزوجات والاماء » .

ومما لاحظه معظم المؤرخين ـ أن إباحة تعدد الزوجات على اطلاقه ، مصحوبة بإباحة التسري على أنواعه ، وهي كثيرة كما يؤخذ من الأسماء التي كانت تطلق على النساء المملوكات في مصطلحات العهد القديم ، فكان للرجل أن يملك ما يشاء بين أمة وسرية وجارية وعبدة وسبية من النساء المملوكات بالسبي أو الشراء . وقد يؤخذ من أعمالهن المنسوبة إليهن في كتب العبرانيين أنهن درجات مختلفات في المنزلة الاجتماعية والصفات الشرعية ، ولكن الواحدة منهن قد تذكر باسم جارية في موضع ، واسم أمة في موضع آخر ، ويعود هذا ـ على

الأرجح ـ إلى حالة المالك الذي يستطيع أحياناً أن يخصص للخدمة المنزلية خادمة غير السرية ، ويحتاج إلى استخدام السرية في أعمال البيت كلها مما تقوم به الزوجة عادة حيث لا توجد الجارية أو السرية . وأياً كان عمل النساء المملوكات فهن ـ بطبيعة الحال ـ لا يتساوين في المكانة الأدبية ولا في قيمة الثمن ، ولا في صفات الجمال والذكاء ، ومنهن من كانت تحل محل الزوجة العقيم برضا الزوجة ، لتلد للرجل ذرية تتبناها تلك الزوجة ، وتنتقل إليها حقوقها في الميراث ، وتظل الجارية أم البنين في مقام وسط بين مقام ربة البيت والأمة المملوكة التي تباع وتشترى .

وكل هذه العلاقات بين الرجل ونساء بيته كانت تباح على اطلاقها ، ولا يشرع لها قيد غير قيد الوثيقة الشرعية ، سواء كانت وثيقة زواج أو وثيقة شراء .

وبقيت حقوق الزوجات ، وأشباه الزوجات ، على هذه الحال في الشرائع القديمة قبل الإسلام إلى زمن بعيد(١) .

* * *

ثم جاءت المسيحية ـ ولم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات وانما ورد في كلام بولس استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة ، لرجل الدين المنقطع عن مآرب دنياه .

وبقي تعدد الزوجات مباحاً في العالم المسيحي إلى القرن السابع

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي .

عشر . كما جاء في تواريخ الزواج بين الأوروبيين ، ويقول : « وسترمارك » في تاريخه :

« ان « ديارمات » ملك ايرلنده كان له زوجتان وسريتان ، وتعدد زوجات الملوك الميروفنجيين غير مرة في القرون الوسطى ، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السراري ، كما يظهر من بعض قوانينه ان تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم ، وبعد ذلك بزمن كان فيليب أوف هيس ، وفردريك وليام الثانى البروسى يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

وأقر مارتن لوثر نفسه تصرف الأول منهما ، كما أقره « ملانكتون » . وكان لوثر يتكلم في شتى المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض فإنه لم يحرم بأمر من الله ولم يكن ابراهيم يحجم عنه إذ كان له زوجتان . نعم أن الله أذن بذلك لأناس من رجال العهد القديم في ظروف خاصة ، ولكن المسيحي الذي يريد أن يقتدي بهم ، يحق له أن يفعل ذلك متى تيقن أن ظروفه تشبه تلك الظروف . فان تعدد الزوجات على كل حال أفضل من الطلاق .

وفي سنة ١٦٥٠ الميلادية ـ بعد صلح وستفاليا ، وبعد أن تبين النقص في عدد السكان من جراء حروب الثلاثين ـ أصدر مجلس الفرنكيين بنورمبرج قرارًا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين . بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى ايجاب تعدد الزوجات . ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى مونستر صراحة بأن المسيحى ـ حق المسيحى ـ ينبغى أن تكون له عدة زوجات . ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهى مقدس .. »

وقال جرجي زيدان : « فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بأمرأتين فأكثر ، ولو شاؤا لكان تعدد الزوجات جائزاً عندهم ، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها ـ وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية ـ فلم يعجز تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حرامًا كما هو مشهور» .

ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد في أفريقيا السوداء ، فقد وجدت الأرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الأفريقيين الوثنيين ، ورأوا أن الأصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية فنادوا بوجوب السماح للأفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد محدود ، وقد ذكر السيد تورجيه مؤلف كتاب « الإسلام والنصرانية في أواسط أفريقية » (ص ٩٢ – ٩٨) هذه الحقيقة ثم قال :

« فقد كان هؤلاء المرسلون يقولون إنه ليس من السياسة أن نتدخل في شؤون الوثنيين الاجتماعية التي وجدناهم عليها ، وليس من الكياسة أن نحرم عليهم التمتع بأرواحهم ما داموا نصارى يدينون بدين المسيح ، بل لا ضرر من ذلك ما دامت التوراة وهي الكتاب الذي يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم تبيح هذا التعدد ، فضلاً على أن المسيح قد أقر ذلك في قوله :

« لا تظنوا أني جئت لأهدم بل لأتمم » أ . هـ .

وأخيراً أعلنت الكنيسة رسمياً السماح للأفريقيين النصارى بتعدد الزوجات إلى غير حد[1] ...

والشعوب الغربية المسيحية وجدت نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال عندها ـ وبخاصة بعد الحربين العالميتين ـ إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة لا تزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب لها .

وقد كان من بين الحلول التي برزت ، أباحة تعدد الزوجات .

فقد حدث أن مؤتمراً للشباب العالمي عقد في « ميونيخ » بألمانيا عام ١٩٤٨ ـ واشترك فيه بعض الدارسين المسلمين من البلاد العربية : وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافاً مضاعفة عن عدد الرجال بعد الحرب ، وقد استعرضت مختلف الحلول لهذه المشكلة وتقدم الأعضاء المسلمون في هذه اللجنة باقتراح إباحة تعدد الزوجات . وقوبل هذا الرأي أولاً بشيء من الدهشة والاشمئزاز ولكن أعضاء اللجنة اشتركوا جميعاً في مناقشته فتبين بعد البحث الطويل أنه لا حل غيره ، وكانت النتيجة ان أقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفي عام ١٩٤٩ تقدم أهالي « بون » عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات[2] .

بل ذكرت الصحف في هذا الوقت أن الحكومة الألمانية أرسلت

---

(١) انظر في هذا الموضوع : تعدد الزوجات لدى الشعوب الأفريقية دكتور محمود زناتي سلسلة : اقرأ

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى في الأحكام الشخصية . ١٢١ طبعة ثانية .

إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام تعدد الزوجات في الإسلام لأنها تفكر فى الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء . ثم اتبع ذلك وصول وفد من علماء الألمان اتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية . كما التحقت بعض الألمانيات المسلمات بالأزهر لتطلع بنفسها على أحكام الإسلام فى موضوع المرأة عامة وتعدد الزوجات خاصة .

وقد حدثت محاولة قبل هذه المحاولات فى ألمانيا أيام الحكم النازى لتشريع تعدد الزوجات ، فقد حدثنا زعيم عربى إسلامى كبير : أن هتلر[1] حدثه برغبته فى وضع قانون يبيح تعدد الزوجات . وطلب إليه أن يضع له فى ذلك نظامًا مستمدًا من الإسلام . ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت بين هتلر وبين تنفيذ هذا الأمر .

وقد سبق أن حاول « ادوارد السابع » مثل هذه المحاولة فأعد مرسومًا يبيح فيه التعدد ولكن مقاومة رجال الدين قضت عليه[2] .

ثم ان المفكرين الغربيين الأحرار أثنوا على تعدد الزوجات ، وبخاصة عند المسلمين . فقد عرض «جروتيوس» العالم القانونى المشهور لموضوع تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء فى العهد القديم[3] .

وقال الفيلسوف الألماني الشهير « شوبنهور» : في رسالته «كلمة عن النساء» :

«إن قوانين الزواج فى أوروبا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل .

---

(١) المرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر .

(٢) الغلاييني : الإسلام روح المدنية : ٢٢٨ الطبعة الجديدة .

(٣) العقاد فى « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » : ١٧٧ .

فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا ، وضاعفت علينا واجباتنا ، على أنها ما دامت أباحت للمرأة حقوقاً مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضاً عقلاً مثل عقله ...

إلى أن يقول .. « ولا تعدم امرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجاً يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا نفر قليل ، وغيرهن لا يحصين عدداً ، تراهن بغير كفيل : بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائمة متحسرة ، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى ، يتجشمن الصعاب ويتحملن شاق الأعمال ، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزي والعار . ففي مدينة (لندن) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية (هذا على عهد شوبنهور ..) سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل » .

* * *

* سؤال من الآنسة « ديانا » ...

قالت هذه الآنسة وهي تبتسم : هل يفهم من هذا الكلام الذي قلته : إن الإسلام يوجب على المسلم التزوج بأكثر من واحدة .. ؟

قلت للآنسة .. ديانا :

إذا كان الإسلام يبيح للمسلم التزوج بأكثر من واحدة ... فليس معنى هذا : الوجوب أو الإلزام بأكثر من واحدة ..

مثلاً ، لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج يهودية أو مسيحية ولكن .... لا يفهم من هذه الإباحة ضرورة التزوج من اليهودية أو المسيحية . فقد يتزوج المسلم من يهودية وقد لا يتزوج . وقد يتزوج من

مسيحية أو لا يتزوج . وهو فى كلتا الحالتين ـ الزواج أو عدم الزواج ـ غير معاقب شرعًا ... ولا يعتبر فى نظر الإسلام آثمًا أو عاصيًا .

فإذا قلنا بعد ذلك : إن الإسلام يبيح التعدد .. فليس معنى ذلك إلزام المسلم بالتزوج بأكثر من واحدة .. بل معناه عدم اعتراض الإسلام على التزوج بأكثر من واحدة .. وبشرط الالتزام بالأحكام والأصول المقررة في زواج الرجل بأكثر من واحدة ...

* سؤال من الآنسة كاترين ..

وهل اشترط الإسلام شروطاً على من يتزوج بأكثر من واحدة ؟

قلت : للآنسة كاترين :

لقد اشترط الإسلام شروطاً لا بد من توافرها في حال الزواج بأكثر من واحدة ...

والأصل في إباحة التعدد قول الله تبارك وتعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

فالآية تبيح التعدد المشروط بالعدل بين الزوجات في الواجبات والحقوق ، فإذا خاف الرجل على نفسه من الجور وجب عليه تخلصا لنفسه من الأثم أن يكتفي بزوجة واحدة تسكن إليه ويسكن إليها ، وقد ذكرت الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كانت له امرأتان فمال إلى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل .

وقد فهم بعض الناس من قوله تعالى « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . ومن قوله تعالى بعد ذلك في آخر السورة « ولن تستطيعوا أن تعدلوا

بين النساء ولو حرصتم ـ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .
فهموا من هاتين الآيتين استحالة قيام العدل بنفس القدرة عليه كما جاء فى الآية الثانية وبذلك لا يقع التعدد أبدًا لارتباطه بشرط مستحيل الامكان والوقوع .

وحقيقة الأمر في هذه القضية أن العدل المطلوب عند التعدد والذى نصت عليه الآية الأولى انما هو العدل المقدور للإنسان في مطالب الحياة الحسية والمادية كالطعام والمسكن والملبس والمبيت إلى غير ذلك من شؤون الحياة المختلفة ، والعدل المنفى فى الآية الثانية هو العدل القلبي الذى يتصل بالوجدان والمشاعر والمحبة والود وهذه من الأمور التى لا دخل فيها لقدرة الإنسان المادية المحسوسة ، ولذلك أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى هذه الأمور النفسية عندما كان يميل بقلبه إلى السيدة عائشة « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ... »

* * *

ثم ما هي الحكمة التشريعية في إباحة التعدد الذي جاء به الإسلام ؟
* سؤال من الآنسة « كارول » ..
ان التعدد المشروع فى الإسلام لم يكن وليد نزوة أو شهوة ، ولم ينزل به القرآن الكريم تلبية لأصحاب الرغائب واللذة .

ان نظرة واحدة إلى عالمنا الذي نعيش فيه تكشف لنا الكثير من أسرار هذه الحكمة الإلهية السامية ، فنساء العالم اليوم يزدن عن الرجال بأكثر من مائتي مليون نسمة . ان في مدينتي « برلين » و« لندن » وحدهما يزيد عدد النساء على الرجال بأكثر من مليون امرأة . فأين يذهب هذا العدد الكبير إذا منعنا الزواج بأكثر من واحد؟ وأيهما

أفضل للمرأة : أن تبيع نفسها لطلاب المتعة أم ترضى بالحياة مع رجل عنده زوجة ؟ ومن للأرمل والمطلقة ؟ وماذا يعمل الرجل بزوجة مريضة مشلولة الحركة والإرادة ؟

والعقيم التي حرمته زينة الحياة الدنيا ؟ وأيهما أحسن للعقيم والمريضة : أن تبقى في رعاية زوجها مصونة مكرمة أم نسلمها للمحن والخطوب والغربة ؟ والحروب التي تغتال الرجل دون المرأة ؟ والأعمال المرهقة التي تفتك بالرجال وتعرضهم للموت في كل لحظة ؟ في قاع البحار وفى ظلمات المناجم وفى أعمال الانقاذ : من يقوم بهذا العمل معوضًا نفسه للتهلكة ؟ ان منع تعدد الزوجات أساس كل كارثة أخلاقية .

وفي ذلك تقول كاتبة انجليزية : لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء ولا فائدة الا في العمل بما يمنع هذه الحالة التعسة وإباحة الزواج للرجال بأكثر من واحدة ، فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بواحدة . ولو كان تعدد الزوجات مباحاً لما نزلت بنا هذه الكارثة . !

وقد حدث هذا الشيء في تركيا الدولة المسلمة بعد أن سلخت نفسها من التقاليد الإسلامية وقلدت الغرب في منع الزواج بأكثر من واحدة . لم تمض غير سنوات قليلة حتى شاعت الفاحشة في كل ناحية وكثرت الولادات السرية . وزاد عدد اللقطاء في كل مدينة وانتهى بهم الحال إلى فوضى أخلاقية مشينة .

يقول العلامة الفرنسي ألفونس أتيين دينيه :

هل في زوال تعدد الزوجات فائدة أخلاقية ؟ ويجيب العلامة الفرنسي ردًا على هذا السؤال : ان هذا أمر مشكوك فيه . فالدعارة التى تندر

في أكثر الأقطار الإسلامية سوف تتفشى فيها وتنتشر آثارها المخربة ، وسوف يظهر فى بلاد الإسلام داء لم تعرفة من قبل هو : عزوبة النساء التي تنتشر بآثارها المفسدة في البلاد المقصور فيها الزواج على واحدة ...

ثم قلت موجهًا سؤالى إلى طالبات جامعة سان دى فنسنت :

هل قرأتن قصة السيدة جوان Joan في صحيفة سيدني مورننج هيرالد ؟

تقول هذه السيدة في رسالتها الموجهة إلى راعي الكنيسة التي تعيش قريباً منها في مقاطعة نيوانجلند New England :

أبي ..

أن الحياة فقدت قيمتها بالنسبة لي .. فالمرارة والحزن يعصرانني .. وكم من مرة حاولت أن أصل إلى قرار أضع به حداً لمعاناتي المتكررة ..

لماذا يعاقبنا الله إذا كان لم يترك لنا ما يعاقبنا من أجله ... ؟

لقد ضحيت كثيراً وأعطيت ما فيه الكفاية حتى لم يعد في نفسى متسع لمزيد من المعاناة ، كما لم يعد فى مقدرتى استعداد لمزيد من العطاء ..

لقد ضحيت وأعطيت وعانيت ، ولم أنشد مقابل عطائي وتضحيتي ومعاناتي سوى راحة البال . لذلك ـ وبالرغم من أني مؤمنة ـ فاني تخليت عن هذا الإيمان لأنه لم يحقق لي ابسط مبرر لوجوده وهو راحة البال ... ؟

لقد حاولت أن أنهي حياتي ثلاث مرات طوال العشرين عاماً الماضية ... وليست حالتي هذه فريدة من نوعها .. فكم من عائلات كثيرة تعاني نفس معاناتي . ولها نفس مشكلاتي ، وليس لها هدف أكثر من راحة البال لتبرر به الاستمرار في معاناتها ... ؟ انني لا

أطلب نصيحة بل أرشدني فقط كيف أحصل على راحة البال قبل أن أموت ..

* * *

ترى لو كانت هذه السيدة . التعيسة ... البائسة .. تعيش في كنف رجل هل كانت تفكر في الانتحار والموت .. وتعزف عن الحياة بهذه المرارة واليأس .. ؟

ان في عالمنا هذا مئات الملايين من أمثال هذه السيدة .. والعلاج الوحيد هو اباحة التعدد الذي لم تحرمه شريعة سماوية واحدة .

هل سمعتن بقصة الفلاح الإيطالى « لويجى » ؟

إنها قصة طريفة .. وان كانت حقيقية .. وشغلت الرأى العام الإيطالى لفترة طويلة .

فقد اكتشفت السلطات في جزيرة سردينيا الإيطالية ان لويجي ، الفلاح يعيش في منزله مع ست سيدات وأن لديه من الأطفال أحد عشر طفلاً .

قبضت السلطات عليه وقدمته للتحقيق ، وكان كلام الرجل الساذج فى غاية البساطة والصراحة إذ قال :

« لقد تزوجت بهؤلاء السيدات لأنهن فقيرات ولا يجدن عملاً ويرفضن الهجرة لشمال إيطاليا لأنهن لا يردن بيع أجسامهن كما فعلت الكثيرات ممن هاجرن . فضلاً عن أنهن لا يملكن المال للسفر .. عرفت السيدات أني أتزوج من لا تجد عملاً فكانت كل واحدة تأتي وتبكي فأتزوجها ... والأولاد هم أولادي منهن » .

وقال رداً على سؤال المحقق عما إذا كان قد تزوجهن زواجاً في

الكنيسة وعلى ان القانون يحرم الزواج بأكثر من واحدة بقوله « لا ... لم نتزوج فى الكنيسة ... كانت الواحدة تحضر وتطلب الزواج ، وكثيرًا ماكان من سبقنها إلى الزواج حاضرات عند حضورها . فكنت أخبرها بأنى متزوج فهل تقبل العيش مع زوجاتى .. فإذا قبلت وقبلت الزوجات قلت لها : أنت زوجتى ... وهكذا كان يتم الزواج ... وأنا لا أعرف القوانين ... » !

وفي يوم وليلة أصبح لويجي وزوجاته نجوم الصحافة وتنافست الصحف في نشر صورهم وأخذ الأحاديث وكان كلام الجميع بسيطاً ساذجًا :

* أكدت الزوجات أنهن اللاتي طلبن الزواج لأن الجوع كان قاسياً ولأنهن لم يجدن أي عمل شريف . !

* أكدت الزوجات أيضاً ان لويجي قد أوجد لكل واحدة عملاً في أرضه وأنهن يشاركن في الأعمال المنزلية . !

* قالت الزوجات رداً عما إذا كان لويجي لا يفرق بينهن في عواطفه أو أن هناك مشاكل بسبب الغيرة أو الأولاد بأن لويجي رجل طيب ويعاملهن جميعاً بمحبة وبعدالة وأنهن يعشن في سلام وتعاون ومحبة . !

رغم كل هذه الحقائق البسيطة ظلت الصحافة تتعامل مع أخبار وتحقيقات وكاريكاتير لويجى وأسرته بسخرية لاذعة ونالت ما تنشره اهتمامًا واسعًا من القراء وأبدى الكثير من الرجال الإيطاليين حسدهم لهذا الفلاح الذى يعاشر ست سيدات مرة واحدة .. !

وجاءت المحاكمة ووقف لويجي أمام هيئة القضاة يروي قصته ببساطة وهي نفس ما رواه اثناء التحقيق ولكن جو المحكمة والرهبة التي يولدها القضاة بملابسهم والمحامون بأروابهم قد جعلت كل من في القاعة المحتشدة بالجمهور يستمعون بروح ونفسية تختلف عما كانت تستقبل بها ما تنشره الصحافة .

ختم لويجى قصته بتوجيه سؤال لرئيس المحكمة : «هل كنت أتركهن يمتن جوعاً .. ؟ ! أو يبعن أعراضهن ؟ ! أليس ديننا يأمرنا بأن نطعم الجائع ونحافظ على عرض النساء .. ؟ ! اني أسمع البابا في الراديو يقول ذلك ... هل أنا غلطان ... ؟» ! !

وجاء دور الزوجات لأداء الشهادة وكانت كلماتهن على بساطتها تمزق القلوب إذ يصفن الفقر والجوع وإذ يتحدثن عن لويجي الذي بطيب أخلاقه وقلبه فتح لهن باب الحياة الشريفة النظيفة . وعاملهن بالتساوي وأحبهن جميعاً ، وأن الأولاد بعضهم يساعد بالعمل في محطات البنزين وفي أماكن أخرى .

وصفت الصحافة في ذلك الوقت رهبة المحاكمة والعطف الذي أثارته شهادة السيدات على الفلاح لويجي فوصف الفقر الموجود في سردينيا وأثر هذا الفقر على غالبية أهل الجزيرة خصوصاً الفتيات ، قد هز المشاعر وكانت بمثابة الصدمة التي أفاقت المجتمع .

أغرب ما في الأمر ان المحكمة إذ أصدرت حكمها لم تتعرض لتهمة تعدد الزوجات لا بالإدانة ولا بالبراءة واقتصرت على الحكم على لويجي بشهرين حبس مع إيقاف التنفيذ لأنه لم يقدم لإدارة الضرائب أي تقرير عن دخله ... ! ! !

تقول كاتبة انجليزية في مقال نشر في جريدة « لندن تريبيون » «إن الرجال يقل عددهم عن النساء .. والرجل يتأخر عادة فى الزواج حتى يتم تعليمه ويحصل على عمل أو وظيفة ، بينما تصلح الفتاة للزواج فى سن مبكرة .. إذن فخير للمرأة أن تشترك مع أخرى فى ظل بيت شرعى من أن تظل عانسًا أو بغيًا تهدر كرامتها بين أحضان الرجال العابثين» .

* * *

لقد حذر علماء الاجتماع في جامعات نيويورك عام ١٩٧١ م من ارتفاع عدد الغانيات ، ونبه الدكتور تشارلي دينيك إلى خطر ظاهرة انحلال الفتيات ، وادمانهن على المخدرات نتيجة لتفكك الأسرة وانعدام رعاية الآباء ...

وفي لوس أنجلوس كشف معهد أبحاث أميركي عن فضيحة أخلاقية مفزعة .. وهي أن عشرة الآف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين ــ وأن عدد البنات اللآتي ولدن ولادات غير شرعية في الولايات المتحدة يزيد على ٣٠٠ ألف فتاة ــ وأنه في مدرسة ثانوية واحدة في مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة ، وما يحدث في أمريكا يحدث مثله في بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا .

ففي أمريكا عدد الشركات الجنسية التي تتخذ من المرأة بضاعة رائجة ما يقرب من مائتين وخمسين شركة جنسية .

وقد أعلن الرئيس السابق نيكسون بنفسه ان أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار في عام ١٩٧٢ م[1] .

---

(١) انظر د / عبد الحليم عويس : الإسلام أولاً ص ٦٣ .

وفي مدينة نيويورك وحدها بلغ عدد البغايا (٢٥) ألف بغية تستهلك الواحدة منهن (٥٠ دولاراً) من المخدرات يومياً .. !

وفي نيويورك أيضاً يوجد أغرب مجمع في العالم يضم أعضاء من مختلف الولايات المتحدة يقدر عددهم بحوالي ١٥ مليوناً هم المنحرفون جنسياً (بين منتسبين ومنتظمين) ..

* * *

أما عن حوادث الاجهاض الناجمة عن العلاقات غير الشرعية . والتي يلجأ إليها الرجل في أوروبا نتيجة لتقييد التعدد .. فان من الضروري أن نذكر انه قد ترتب على عمليات الاجهاض هذه أمور خطيرة حتى ان منظمة الصحة العالمية لاحظت بقلق شديد تزايد حالات الوفاة الناجمة عن الاجهاض بشكل مطرد فقد أصبحت تمثل اليوم نحو ١٠ ./ من جملة الوفيات بين الأمهات[1] .

والمؤسف أن بعض الحكام في العالم الإسلامي قد انخدع بهذه الحركة .. وبدأ يحارب نظام التعدد ويشرع القوانين التي تجرم من يرتكبه .

لقد منع تعدد الزوجات : وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره ، حصلت حادثة : هذه الحادثة تتلخص في أن شخصاً من الأشخاص متزوج ، وعنده أولاد من زوجته ثم أصبحت زوجته هذه في وضع غير صالح لاستمرار الزوجية من الناحية الجنسية فكان هو بين أمرين : إما أن يزني ، وأما أن يتزوج ، والتعدد ممنوع . فماذا يصنع ؟

---

(١) كاترين فالابريج ـ كتاب : تنظيم الأسرة .

امرأته الأولى لم تزن . ليست مسؤولة عما حدث لها . هذا قضاء الله بالنسبة لها . فما ذنبها لتطلق ؟ ولم يطلقها ؟ انها لم تسيء إليه . لم يطلق . وانما ذهب وعقد عقداً شرعياً ، على امرأة ، وتزوجها بحسب الشرع ، وأسكنها في مسكن . وكان يذهب إليها ويبيت عندها . وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون في هذه الناحية لا يتساهل وذهبت الشرطة وضبطوه متلبساً بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق ، وقالوا له : هل تزوجت امرأة أخرى ؟ فقال : كلا .. فقيل له .. ولكنك كنت عندها ..

قال : نعم ....

ـ وتنفق عليها ....

ـ نعم ،

ـ وقد استأجرت لها هذا المسكن .....

ـ نعم ......

ـ وتبيت عندها ....

ـ وأبيت عندها ......

ـ ماذا تكون إذن ؟ ـ انها عشيقة .....

فقيل له : تفضل اذهب ، لا ملام عليك ، لا لوم عليك ...

حرّموها زوجة ، وأباحوها عشيقة بقانونهم .

ان « أتيين دينييه » مستشرق فرنسي ، كانقد ذهب إلى الجزائر في عهد الفرنسيين وهو فرنسي ، وأقام في الجزائر في بلدة اسمها « بوسعادة » . استراح إلى الجو ، واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الخلق .. وكلها أغرته : الجو ، الطبيعة ،الصحراء ، الناس كلها

أغرته بأن يقيم في الجزائر ، فأقام ، أقام في عهدين : عهد كان فيه التعدد مسموحاً به ، وعهد حدث فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد ، أو الإقلال من التعدد .

وبعد ذلك لاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها باللغة الفرنسية ، في أحد الكتب .كتب يقول : حينما منع التعدد والطلاق ، وجدت ظواهر ، لم تكن موجودة ، أيام كانت اباحة التعدد والطلاق .

ما هي هذه الظواهر ؟ هذه الظواهر التي وجدت عندما منع التعدد :

أولاً : كثرة العوانس ، هذا أمر .

الأمر الثاني : كثرة اللقطاء .

الأمر الثالث : كثرة الأمراض السرية .

هذه المسائل الثلاث ، حدثت بعد أن منع التعدد وبعد أن منع الطلاق . وليس معنى اباحة التعدد أنه مفروض ، وليس معنى ذلك أنه لابد من التعدد ..

* * *

ملحق خاص عن
زواج النبي[1] صلّى الله عليه وسلّم

كان للنبي صلوات الله عليه خصوصية في أمر تعدد الزوجات ، جازت له قبل سريان حكم التقييد بعدد لا يزيد على أربع لسائر المسلمين .

وأمثال هذه « الخصوصية » ليست بالشيء النادر عند تأسيس النظم الاجتماعية قبل تمام الانتقال من نظام إلى نظام لأنها استثناء توجبه مصلحة النظام الجديد ولا يتأتى شموله بالتعميم في جميع الأحكام .

ومن شروطه ألا يتكرر بعد من يختص به للمرة الأولى ، وللمرة الأخيرة . لأن تكراره يجعله نظاماً قائماً إلى جانب النظام الجديد .

وقد كانت خصوصية النبي عليه السلام مفردة مقصورة عليه غير قابلة للتكرار ، لأنها ارتبطت بمصلحة الدعوة في ابانها ، ولم يكن للدعوة رسول سواه ولم يكن له غنى عن تلك الخصوصية في

(١) من كتاب المرأة في القرآن : للمرحوم عباس العقاد .

البلاد التي تأسست فيها الدعوة الأولى ، وهي بلاد الأنساب وروابط المصاهرة والولاء بين الأسر والبيوت .

وقد تحتاج الحكمة في امتياز الرسول بتلك الخصوصية إلى شرح وايضاح ..

أما الحقيقة الواضحة التي لا حاجة بها إلى شرح ولا ايضاح فهي نزاهة تلك الخصوصية مما يعاب على الرجل أو على المرأة ، وخلوصها من شوائب الهوى النفسي ، ولو كان من السائغ المباح .

لم تكن تلك الخصوصية لتمكين صاحبها من المتعة والاستغراق في مناعم الحياة الجنسية . فإن البيت الذي يشكو نساؤه قلة المؤنة والزينة ، لا يقال عنه انه بيت رجل تملكه اهواء نفسه وتغلبه على رشده . والرجل الذي يملك الجزيرة العربية ولا يمد يده لاغتراف الثروة التي تكفي زوجاته ، وتملي لهن في الترف والزينة ، لن يكون رجلاً مغلوب الحس منساقاً مع غواية المتعة ووساوس الشهوات ، وليس بالرجل المخلوق لطلب اللذة من ينهض بما نهض به نبي الإسلام من عظائم الأمور في مدى سنوات معدودات .

أما النساء اللآتي اجتمعن في بيت النبي فلم تكن عليهن مهانة يشعرن بها ، أو يشعر بها أحد من أترابهن ، أو من عامة المسلمين ، أغنيائهم وفقرائهم على السواء . بل كان دخول المرأة في عداد أمهات المؤمنين شرفاً لا يعلوه شرف ، ولا تطمع امرأة من أعرق البيوتات في كرامة حاضرة باقية أرفع من هذه الكرامة ، التي تناظر بها سيدات العرب والعجم من أقدم العصور إلى آخر الزمان .

وقد تقدم ان سليمان الحكيم جمع بين ألف امرأة من الحرائر والإماء ، كما جاء في كتب العهد القديم ، ولعلهن اجتمعن في ذلك الحرم مأسورات مملوكات ، ولعلهن رضين به رضى عن الترف والجاه ، في قصر يعلو على القصور . أما نساء محمد عليه السلام فما أرضاهن عن المقام في بيته على الشظف والكفاف مال ولا جاه من جاه الأبهة والسلطان ، وأنما هو جاه الروح ترتفع إليه المرأة بهدى الرسالة ، ولا يرفعها إليه هدى سوى هداها .

وإذ تنزهت الخصوصية التى انفرد بها محمد عليه السلام عن مهانة تشين الرجل أو المرأة فقد ظهرت الحكمة فيها أيّما ظهور ، وامتنع كل وجه من وجوه تعليلها وتفسيرها الا أن تكون في سبيل الدعوة ، لا في سبيل محمد ولا آل محمد ، والا أن تكون تعليماً بارزاً لحكمة التشريع في تعدد الزوجات وهي تدعيم النظام الاجتماعي بالمصاهرة ، وصيانة المرأة من الفتنة والمهانة .

فقد جمعت المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً في رسالة واحدة هي رسالة الدين .

وقد كانت كل سيدة من أمهات المؤمنين تأوى إلى البيت الطاهر . فإنما تأوي إليه اعتصاماً من الارتداد والوقوع في أيدي الحاقدين عليها من ذويها ، أو تأوي إليه لاكرامها عن منزلة دون منزلتها ، أو عن عرضها على من يضارع أهلها ممن لا يرغبون فيها وكان فيهن النصف ، والعاقر ، ومن لا مآل لها غير التأيم ، أو العرض المستكره على اشراف القوم من أندادها ، ولا يخلو ذلك العرض من غضاضة عليها ، لما يساورها من الظن بقبوله حياء من النبي وطاعة لأمره ،

وليس لإيثار النبي البناء بالسيدة على عرضها للزواج بين أصحابه غير سبب واحد يعقله المنصف والمكابر ، لأنه لا يقبل الفهم المعقول على وجه آخر : وذلك هو جبر الخاطر ، والبر بالمرأة المؤمنة ان ينتهي بها ايمانها إلى الحطة والهوان ، ويكفي ان تسرد اسماؤهن وتذكر أحوالهن عند بناء النبي بهن ، لتنقطع الظنة في أسباب كل زواج شملته الخصوصية النبوية .

« ... ولم يحدث قط ان اختار زوجة واحدة لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يبن بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعاً أنه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيه وخليفته من بعده : أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

« هذا الرجل الذي يفتري عليه ألاثمة الكاذبون انه الشهواني الغارق في لذات حسه ـ وقد كانت زوجته الأولى تقارب الخمسين وكان هو فى عنفوان الشباب لا يجاوز الخامسة والعشرين وقد اختارته زوجًا لها . لأنه الصادق الأمين فيما اشتهر به بين قومه من صنعة وسيرة . وفيما لقبه به عارفوه وعارفو الصدق والأمانة فيه ، وعاش معها إلى يوم وفاتها على أحس حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية ، ثم وفى لها بعد موتها فلم يفكر فى الزواج ، حتى عرضته عليه سيدة مسلمة رقت له فى عزلته فخطبت له السيده عائشة بإذنه ، ولم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمة ترضيها غير ثنائه على زوجته الراحلة ووفائه لذكراها .

« وما بنى ـ عليه السلام ـ بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة ، وانما كانت صلة الرحم والضن بهن على المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج

بهن . ومعظمهن كن أرامل مؤيدات فقدن الأزواج أو الأولياء ، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكْفاء لهن ان لم يفكر فيهن رسول الله » .

« فالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة ، ولا مأوى لها بعد موته الا أن تعود إلى أهلها ، فيكرهوها على الردة أو تتزوج بغير كفء لها لا يريدها » .

« والسيدة هند بنت أبي أمية ـ أم سلمة ـ مات زوجها عبد الله المخزومي ، وكان أيضاً ابن عمها ، اصابه جرح في غزوة أحد فقضى عليه ، وكانت كهلة مسنة فاعتذرت إلى الرسول عليه السلام بسنها ، لتعفيه من خطبتها ، فواساها قائلاً : « سلي الله ان يؤجرك في مصيبتك ، وأن يخلفك خيراً » فقالت : « ومن يكون خيراً لي من أبي سلمة ؟ » وكان الرسول عليه السلام يعلم ان أبا بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت بمثل ما اعتذرت به إليه ، فطيب خاطرها وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها » .

« والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، فتنصر زوجها وفارقها في غربتها بغير عائل يكفلها ، فأرسل النبي عليه السلام إلى النجاشي يطلبها من هذه الغربة المهلكة ، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها ، ولعل في الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيجة النسب فتميل به جفاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام » .

« والسيدة حورية بنت الحارث سيد قومه ، كانت بين السبايا

في غزوة بني المصطلق ، فأكرمها النبي عليه السلام ان تذل ذلة السباء ، فتزوجها وأعتقها وحض المسلمين على اعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعاً وحسن اسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله فاختارت البقاء فى حرم رسول الله » .

« والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها ، فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ، وبث عمر أسفه للنبي فلم يشأ أن يضن على صديقه ووليه بالمصاهرة التي شرف بها أبا بكر قبله ، وقال له : « يتزوج حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان » .

« والسيدة صفية الاسرائيلية بنت سيد بني قريظة خيرها النبي بين أن يردها إلى أهلها ، أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى ذويها . ولولا الخلق الرفيع الذى جبلت عليه نفسه الشريفة ، لما علمنا ان السيدة صفية قصيرة يعيبها صواحبها بالقصر ، ولكنه سمع احدى صواحبها تعيبها بقصرها ، فقال لها ما معناه من روايات لا تخرج عن هذا المعنى : انك قد نطقت بكلمة لو ألقيت في البحر لكدرته ، جبر خاطر الأسيرة الغريبة ان تسمع في بيته ما يكدرها ويغض منها » .

« والسيدة زينب بنت جحش ـ ابنة عمته ـ زوجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثه فنفرت منه وعز على زيد أن يروضها على طاعته ، فأذن له النبي في طلاقها ، فتزوجها عليه السلام لأنه هو المسؤول عن زواجها ، وما كان جمالها خفياً عليه قبل تزويجها بمولاه ، لأنها كانت بنت عمته ، يراها من طفولتها ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها » .

« والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدم لخطبتها ، فتكفل بها عليه السلام إذ لا كفيل لها من قومها » .

« وهذا هو الحريم المشهور في أباطيل المبشرين وأشباه المبشرين ، وهذه هي بواعث النفس التي استعصى على المبطلين أن يفهموها على جليتها ، فلم يفهموا منها الا أنها بواعث انسان غارق في لذات الحس ،

« ولقد أقام هؤلاء الزوجات في بيت لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات في بيوت الكثيرين من الرجال ، مسلمين كانوا أو مشركين . وعلى هذا الشرف الذي لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات ، شقت عليهن شدة العيش في بيت لا يصبن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف ، والقناعة بأيسر اليسير ، فاتفقن على مفاتحته في الأمر ، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة ، وهي موفورة لديه لو شاء أن يزيد في حصته من الفيء ، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه . الا أن الرجل المحكم في الأنفس والأموال ـ سيد الجزيرة العربية ـ لم يستطع أن يزيدهن على نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة ، فأمهلهن شهراً وخيرهن بعده ان يفارقنه ، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع الحسن ، أو يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف » .

« ولو ان هذا الخبر من أخبار بيت النبي كان من حوادث السيرة المحمدية التي تخفى على غير المطلعين المتوسعين في الاطلاع ، لقد كان للمبطلين بعض العذر فيما يفترونه على نبي الإسلام من كذب وبهتان ، إلّا أنه خبر يعلمه كل من اطلع على القرآن ووقف على

أسباب التنزيل ، وليس بينها ما هو أشهر من كتاب التفسير من أسباب نزول هذه الآيات في سورة الأحزاب :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » .

سورة الأحزاب ـ ٢٩ .

* * *

« وأقل المبشرين المحترفين ولعاً بالتفتيش عن خفايا السيرة النبوية خليق أن يطلع على تفاصيل هذا الحادث بحذافيره ، لأنه ورد في القرآن الكريم خاصاً بالمسألة التي يتكالب المبشرون المحترفون على استقصاء اخبارها ، واحصاء شواردها ، وهي مسألة الزواج وتعدد الزوجات . وقد كان لهذا الحادث الفريد في سيرة النبي صدى لم يبلغه حادث من الحوادث التي عنيت بها العشيرة الإسلامية ، حين كانت في بيئتها المحدودة ، تحيط بايمانها احاطة الأسرة بأبيها » .

« حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «كنا تحدثنا ان غسان تنتعل النعال لغزونا ، فنزل صاحبي يوم نوبته ، فرجع عشاء ، فضرب بابي ضرباً شديداً وقال : أثم هو ؟ ففزعت فخرجت إليه ، وقال : حدث أمر عظيم . قلت : ما هو ؟ أجاءت غسان ؟ قال : لا بل أعظم منه وأطول .. طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه .. »

« ولما تألب ربات البيت يشكون ويلحفن في طلب المزيد من النفقة ، لبث النبي في داره مهموماً بأمره ، وأقبل أبو بكر فوجد

الناس جلوساً لا يؤذن لأحد منهم فدخل الدار ولحق به عمر بن الخطاب ، فوجد النبي واجماً وحوله نساؤه ، فأحب أبو بكر أن يسري عنه بكلمة يقولها ، وكأنه فطن لسر هذا الوجوم من النبي بين نسائه المجتمعات حوله فقال : « يا رسول الله . لو رأيت بنتي خارجة .. سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها . فضحك النبي وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ويقولان : تسألن رسول الله ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده .. » .

« وهجر النبي نساءه شهراً ، يمهلهن ان يخترن بين البقاء على ما تيسر له ولهن من الرزق ، وبين الانصراف بمتعة الطلاق . وبدأ بالسيدة عائشة فقال : « اني اريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك » . فسألته : « وما هو يا رسول الله ؟ » فعرض عليها الخيرة مع سائر نسائه في أمرهن . فقالت : « أفيك يا رسول الله استشير قومي ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة » . وأجاب أمهات المسلمين بما أجابت به السيدة عائشة ، وانتهت هذه الأزمة المكربة بسلام ، وما استطاع صاحب الدار ــ وهو يومئذ أقدر رجل فى العالم المعمور ــ ان يحل أزمة داره بغير احدى اثنتين : ان يجمع النية على فراق نسائه ، أو يقنعن معه بما لديهن من رزق كفاف » .

« أعن مثل هذا الرجل يقال انه حلس شهوات وأسير لذات ؟

« أعن مثله يقال إنه ابتغى من رسالته مأربا يبغيه الدعاة غير الهداية والاصلاح » .

« فيم كان هذا الشقاء بأهوال الرسالة وأوجاعها من ميعة الشباب إلى سن لا متعة فيها لمن صاحبه التوفيق والظفر أو لمن صاحبته الخيبة والهزيمة ؟ » .

« أتراه يريدها مخاطراً بأمته وحياته ، مستخفاً بالهجرة من وطنه والعزلة بين أهله ، ليسوم نفسه بعد ذلك عيشة لا يقنع بها أقرب الناس منه وأعلاهم شرفاً بالانتماء إليه ؟ » .

« أمن أجل الحس ولذاته يتزوج الرجل بمن تزوج بهن ، وهو سيد الجزيرة العربية وأقدر رجالها على اصطفاء النساء الحسان من الحرائر والإماء ؟ » .

« وهل يتزوج بهن الشهوان الغارق في لذات الحس ليقتدين به في اجتواء الترف والزينة وخلوص الضمير للإيمان بالله وابتغاء الدار الآخرة ؟ » .

« وما مأربه من كل ذلك ان كان له مأرب في طويته غير مأربه في العلانية ؟ وعلام يجاهد نفسه ذلك الجهاد في بيته وبين قومه ان لم تكن له رسالة يؤمن بها ولم تكن هذه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان ؟ » .

« ان المبشرين المحترفين لم يكشفوا من مسألة الزواج في السيرة النبوية مقتلاً يصيب محمداً ، أو يصيب دعوته من ورائه ، ولكنهم قد كشفوا منها حجة لا حجة مثلها في الدلالة على صدق دعوته ، وايمانه برسالته ، واخلاصه لها في سره ، كاخلاصه لها في علانيته ،

لولا أنهم يعولون على جهل المستمعين لهم لاجتهدوا في السكوت عن مسألة الزواج خاصة أشد من اجتهادهم في التشهير بها واللفظ فيها » .

وقصارى القول في الخصوصية النبوية انها لم تكن « امتيازاً » من امتياز القوة المسيطرة لتسخير المرأة في مرضاة خيلاء الرجل ، وحبه للمتعة الجسدية ، ولكنها كانت آية أخرى من معدن الأحكام القرآنية فيما تسفر عنه من عطف على المرأة وحياطة لها من مواقع الجور والإذلال ..

الحلقة الثالثة من الحوار

* لقاء على غير موعد ..
* هل الطلاق ظلم يمارسه الرجل ضد المرأة ... ؟
* زوجة مفترسة ... وزوج بلا حماية ...
* عمر بن الخطاب والمرأة التى جاءت تطلب الطلاق ...
* الطلاق عند اليهود ..
* وعند المسيحيين .. ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ...
* إذن ... فلن يتزوج أحد كما قال الحواريون للمسيح ...
* من تزوج مطلقة يزنى ... ومن يزنى فلا شىء عليه ... !
* وكان البديل .... خروجًا على وصايا الانجيل ...
* وهذا هو موقف الإسلام من الطلاق ...
* احصائيات وأرقام من أوربا وأميركا ..
* وماذا تقول مجلة الايكونومست ... ؟
* شكراً .. طالبات جامعة سان دى فنسنت ..

لست أدري لماذا غادرت مسكني في ألت ستريت Alt St.
بضاحية أشفيلد Ashfield في هذا الوقت من الصباح المبكر .

لقد كان من عادتي أن أغادر هذا البيت في تمام الساعة الحادية عشرة قبل الظهر . فما الذي دفعني إلى تغيير هذه العادة والخروج مبكراً في هذا اليوم .. ؟

لم أكن أعرف لنفسي وجهة معينة . فقد ركبت القطار المتجه إلى مدينة سيدني Sydney وتركت نفسي للصدفة أو الحظ الـذي يصادفني .

سمر هل Summer Hill لوى شام Lewi Sham بيتر شام Peter Sham ستان مور Stan More نيوتاون Newtown ماكدونالد Mackdonald ردفرن Redfern سنترال Central تاون هول Townhall ميوزيم Muscum .

لقد تجاوز القطار كل هذه المحطات دون أن أعي أو أدرك ثم فجأة وجدتني أغادر القطار في محطة سان جيمس St. James

الواقعة أسفل حديقة هايد بارك Hyed Park وهي محطة تذكرني بمحطة لندنية قديمة اسمها تشوك فارم Chalk Farm

وبدون سبب يدعوني إلى التحدث في التليفون وجدتني اندفع إلى آلته المثبتة في أحد أركان المحطة وأحرك دائرة أرقامه على التليفون الخاص بالمركز الإسلامي والمسجد ..

ـ أين أنت ؟

نطق بها الحارس المقيم بالمسجد في بهجة تظهر من نبرة الصوت ..

ـ وهل حدث شيء ؟

ـ ان مجموعة من الفتيات ينتظرن في المكتب ، وبينهن خمس فتيات من اللائي حضرن قبل ذلك إلى المسجد ..

* * *

ترى بماذا يفسر الإنسان هذه الظواهر التي تبدو أحياناً غير معقولة ؟ لقد غادرت بيتي قلقاً إلى جهة غير معلومة ، هكذا تعودت في لحظات القلق والحيرة .. غير ان هذا القلق وهذه الحيرة كثيراً ما يقودانا إلى الحكمة الغائبة عن الادراك والوعي ، وينتهيان بنا إلى غاية أو فرصة لم تكن في الخاطر أو العقل .

وهكذا وجدتني فجأة في مواجهة جديدة مع الحوار الذي بدأته مع طالبات جامعة «سان دى فنسنت» غير انى لم أكن أعلم ماذا تريده هؤلاء الفتيات فى هذا اليوم بالضبط ...

وانتظرت شارداً قدوم القطار المتجه إلى حي سري هيلز Surry Hills وفي أقل من عشرين دقيقة كنت أدلف إلى ساحة المسجد في شارع الكومونولث Common Wealth

... لورا .. دورثي . ريتا . ديانا . كارول . تريزا . باتي . جانيت بريجيت . ماري . هيلين . جاكلين . سالي . فلورا . فانيسا . كارمن كاترين . ليندا ...

ثماني عشرة طالبة حضرن إلى المسجد لاستئناف الحوار حول « موقف الإسلام من المرأة ومشكلاتها في هذا العصر ».

قلت للآنسة دورثي مداعباً :

ـ ما الذي أتى بكن في هذا اليوم الذي تتعطل فيه الحياة والحركة . ويخرج الناس فيه إلى الحدائق للمرح والنزهة .. ؟

ـ وهل ضايقك حضورنا قبل تحديد موعد ؟ لقد علمنا من الحارس أنك تخصص يومي السبت والأحد للانتظار في المسجد ؟

ـ ليس هذا ما أقصده يا آنسة دورثي. انما أقصد ... هو تجشمكن المتاعب في يوم يخرج فيه الناس إلى الحدائق والملاعب .. وعلى أية حال ... فاني أرحب بكن ترحيباً يليق بهذه الهمة العالية . وأرحب مرة ثانية بزميلاتكن اللاتي يشرفننا لأول مرة ، وأرحب مرة ثالثة باستئناف الحوار الذي يهم كل فتاة وامرأة في استراليا ...

* * *

قالت الطالبات . فلورا . وليندا . وكارمن :

هل تسمح لنا بتخصيص هذه الحلقة من الحوار عن الطلاق في المسيحية والإسلام . ؟

إننا نرى في الطلاق ـ كما شرعه الإسلام ـ ظلماً للمرأة وإهداراً لحقوقها مع الرجال ؟ فما جمعه الله ـ كما يقول الانجيل ـ لا يفرقه إنسان .. ! قلت مازحاً :

قبل الإجابة على هذا السؤال . أدعوكن لقراءة هذه القصة أو الحادثة التي نشرتها صحيفة مصرية وصلتني قبل أيام .

تقول جريدة الجمهورية . التي نشرت هذه القصة أو الحادثة :

وقف الزوج يصرخ أمام المحكمة ..

جبارة . قوية . طاغية .. أكثر من مرة حاولت خنقي .. هشمت عظامي أكثر من مرة .. كسرت رجلي .. انها عنيفة تتمتع بقوة خارقة .. فهي تجيد لعبة الكاراتيه التي تعلمتها خلال دراستها الثانوية .. !

وهدأت نبرة الزوج وهو يسترحم هيئة المحكمة لتحكم بطلاقه من زوجته حفاظاً على حياته ..

وبدأ الزوج يسرد قصة زواجه .

قال انه تزوجها عام ٦٥ وعاش معها بعض أيام شهر العسل ثم حدث بينهما خلاف بسيط قامت على أثره بنزع النظارة من على عينيه لتضغط عليها بأصبعها لتتهشم ثم أمسكت به وطرحته أرضاً وأخذت تكيل له اللكمات حتى وقع على الأرض فاقد الوعي ويجد نفسه في المستشفى لمدة ثلاثة شهور ويعالج خلالها من كسر في إبهام يده اليمنى وكسر في ترقوة عظام الكتف وكسر الساق اليسرى .. !

وقال الزوج ..

خرجت بعد علاجي أبحث عن زوجتي فوجدتها تخرج من مبنى مديرية الأمن . ولما سألتها عن سبب تواجدها فى هذا المكان استقلت السيارة وصدمته بها متعمدة فعاد إلى المستشفى مرة أخرى .. !

وأضاف الزوج .. ان حياتي بعد ذلك أصبحت جحيماً مع الزوجة التي تمارس هوايتها في كل خلاف يقع بيننا .

وأمام الدائرة (٢٠) بمحكمة القاهرة للأحوال الشخصية [لغير المسلمين] برئاسة عبد الرحمن عبد الحليم سليمان وعضوية الدكتور حسني الجندي وحسين عبد الغني وحضور أحمد ابراهيم وكيل النيابة وأمانة سر الضبع محمود حسانين شهد ابن خالة الزوج بأنه سمع من الزوج رواياته عن قسوة الزوجة وقوتها الخارقة .. كما ان الشاهد الثاني وهو ابن أخيه قال إنه خلال زيارته للزوج حدث خلاف بين الزوجين على نوع الطعام الذي تعده الزوجة للعشاء وبسرعة قامت الزوجة وأحاطت رقبته بكفيها في محاولة لخنقه .. وحاولت منعها لكنها دفعتني بيدين قويتين واتجهت بسرعة إلى المطبخ وجاءت تحمل سكيناً توجهه لزوجها ففتحت الباب وصحبته معي للخارج .. لكن الزوجة خرجت بسرعة إلى الشارع واستقلت سيارتها وحاولت التحرش بنا في الطريق .. وصدمت الزوج صدمة خفيفة طرحته أرضاً .. ثم فرت بسيارتها قبل تجمع المارة ..

ـ هذا أمر فظيع وشنيع Horrible ... لكن لماذا لم يطلقها ويستريح ؟

ـ لم يكن ليستطيع ذلك لأن المحكمة لم تأخذ بأقواله في التحقيق .. ولأن ما جمعه الله لا يفرقه انسان كما يقول متّى على لسان السيد المسيح .. !

* * *

وتعالين نستمع إلى قصة أخرى .. ان بطل هذه القصة وبطلتها مسلمان .. والمرأة في هذه القصة هي التي تطلب الطلاق على عكس ما رأينا في القصة الأولى . أما لماذا ؟ فالأمر غريب جداً .. ولطيف جداً كما يتبين من مجرى الحديث والحوار .

لقد ذهبت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كانت امرأة في غاية الرقة والجمال وكان معها زوجها الذي اصطحبته معها إلى الخليفة عمر بن الخطاب . وحين وقفا بين يديه قالت المرأة :

– يا أمير المؤمنين . هذا زوجى وابن عمى وأنا لا أريده ففرِّقْ بيني وبينه ..

فقال الزوج :

هذه زوجتي يا أمير المؤمنين ولم يمض على زواجنا أكثر من شهرين حتى جاءت تطلب الطلاق من غير ذنب جنيته ولا حدث أحدثته ..

قالت الزوجة :

هو ما أساء إلي ولكن لا أريده .. !

فنظر عمر إلى الزوج فإذا هو شاب قد طال شعره ، وركبته الأوساخ ولم تمسسه يد الحلاق ولا الماء منذ شهور .. وله لحية كشعر القنفذ ، وأظافر سود قذرة ، وعليه ثياب ممزقة بالية لا يعرف لها لون أو شكل وتنتشر رائحتها القذرة على بعد أمتار .

فقال عمر للزوجة : إذهبي وتعالي إلى غداً ..

ثم أشار إلى غلامه . فذهب بالرجل إلى الحلاق فأخذ من شعره ، وإلى الحمام فغسله وقص أظافره ، وألقى عنه هذه الثياب القذرة . واستبدل بها ثيابًا جديدة نظيفة ثم جاء به من الغد ، وقد خلق خلقًا

جديدًا وعاد رجلاً آخر ، وبدا شبابه وجماله وصحته ، فلما حضرت الزوجة في الموعد المحدد إلى مجلس عمر ورأته بجواره غضت بصرها حياء من جماله ورجولته ، لأنها لم تعرفه وحسبته رجلاً غريباً .. !

فأشار عليه عمر أن أمسك بيدها . فلما أمسك بها وثبت غاضبة وخلصت يدها منه بقوة وقالت :

ـ أتهجم علي بين يدي أمير المؤمنين أيها الفاسق .. !

فقال عمر مبتسماً ..

ـ ويحك .. ان هذا زوجك . فنظرت إليه الزوجة غير مصدقة ثم ألقت بنفسها بين يديه وهي تبكي . ثم انصرفا راضيَيْن ..

قال عمر :

هكذا فاصنعوا لهن . إنهن يحببن أن تتزينوا لهن . كما تحبون أن يتزينَّ لكم[1] .

* * *

أرأيتن كيف عالج الإسلام مشكلة هذه الزوجة التي ذهبت إلى الخليفة تطلب منه الطلاق ؟ وكيف نفذ هذا الخليفة ببصيرته إلى السبب الذي دفع الزوجة إلى اتخاذ هذا الاجراء ؟ ثم كيف عالج هذه المشكلة ببساطة تدعو إلى التقدير والاعجاب ... ؟ وهذا هو الفرق بين أسلوب الإسلام في معالجة مشكلة الطلاق ، وبين أسلوب غيره المتسم بالعجز والقهر والاحباط ...

وبادئ ذي بدء يجب أن نعرض أولاً لمبادئ كل دين من الأديان

(١) أخبار عمر . على الطنطاوي طبعة دمشق .

حول هذه المشكلة التي يكثر حولها الجدل والنقاش .

عند اليهود مثلاً : نجد الطلاق مباحاً بشرط أن يعطي الرجل من طلقها وثيقة طلاق . ولم تحرم الشريعة اليهودية على الرجل أو المرأة أن يتزوج كلاهما بعد ذلك بمن يشاء .

وقد جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه بالحرف : « إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً . ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ، ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته . فإذا خرجت من بيته ومضت وصارت لرجل آخر . فأبغضها الرجل الآخر ـ أي الزوج الثاني ـ وكتب لها كتاب طلاق فدفعه إلى يدها وصرفها من بيته . أو مات الرجل الآخر ـ أي الزوج الثاني ـ الذي اتخذها له زوجة . فليس لبعلها الأول الذي طلقها أن يعود ويأخذها لتكون له زوجة بعدما تدنست »[1] ..

كما ورد ذكر الطلاق على أسلوب مجازي في الاصحاح الثالث من كتاب أرميا حيث يقول وهو يندد باسرائيل :

« إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها بعد .. ؟

وهكذا نرى ان الطلاق مشروع في اليهودية ، ولا تزال أصول هذا التشريع في أسفار العهد القديم حية وباقية .

* * *

---

(١) العهد العتيق . سفر تثنية الأشتراع . المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥١ وانظر أيضًا : المرأة في القرآن ـ عباس العقاد ص ١٥٩ .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المسيحية وجدنا أنفسنا أمام مذاهب ثلاثة يختلف موقف كل مذهب منها عن المذهب الآخر . وان اتفقت جميعها على اعتبار « الزنا » مبرراً لانفصال الزوجين كلاهما عن الآخر ..

« ... فالمذهب الكاثوليكي يحرم الطلاق تحريماً باتا ، ولا يبيح فصم الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه . وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد في نظره مبرراً للطلاق . وكل ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسمية (حسب تعبيرهم) بين شخصي الزوجين ، مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما في اثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه ، على شخص آخر لأن ذلك يعتبر تعدداً للزواجات[1] . وتعتمد الكاثوليكية في مذهبها هذا على ما جاء في انجيل متّى على لسان المسيح إذ يقول : « لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله »[2] .

والمذهبان المسيحيان الآخران ، الأرثوذكسى والبروتستانتي ، يبيحان الطلاق في بعض حالات محدودة ، من أهمها الخيانة الزوجية ، ولكنهما كذلك يحرمان على الرجل والمرأة أن يتزوجا بعد ذلك .

وتعتمد المذاهب المسيحية التي تبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية على ما ورد في انجيل متّى على لسان المسيح إذ يقول :

---

(١) وقد بينا في الفصل السابق ان تحريم التعدد في المسيحية ليس له سند شرعي .

(٢) متى ، اصحاح ، ١٩ ، ٦ .

« من طلق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها تزني »[1] .

وتعتمد المذاهب المسيحية في تحريمها الزواج على المطلق والمطلقة على ما ورد في انجيل متي كذلك إذ يقول : « من يتزوج مطلقة يزنى »[2] .

وفي نقد هذا النظام الكنسي يقول واحد من كبار فلاسفة المسيحيين أنفسهم . وهو العلامة الإنجليزى بنذام Bentham فى كتابه « أصول التشريع » :

« حقاً ان الزواج الأبدي هو الأليق بالإنسان ، والملائم لحاجته ، والأوفق لأحوال الأسرة ، والأولى بالأخذ ... ولكن ان اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل عنه حتى لو حلت في قلوبهما الكراهة الشديدة مكان الحب لكان ذلك أمراً منكراً لا يسيغه أحد من الناس . على أن هذا الشرط موجود بدون ان تطلبه المرأة . إذ القانون الكنسي يحكم به فيتدخل بين العاقدين حال التعاقد ويقول لهما : أنتما تقترنان لتكونا سعداء ، فلتعلما أنكما تدخلان سجناً سيحكم غلق بابه .. ولن أسمح بخروجكما وان تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء » ...

* * *

ويعلق الفيلسوف الانجليزي على هذا الوضع بقوله : ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شأنه لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه » ! ! ! .

---

(١)متى ، اصحاح ٥ ، ٣٢ .

(٢)متى ، اصحاح ٥ ، ٣٢ .

ولكن لحسن الحظ استحدث المسيحيون من القوانين المدنية ما يفتح لهم أبوابًا للطلاق ويعفيهم من أن يلجأوا إلى القتل أو الانتحار للخروج من هذا السجن .

ولم يستطع رجال الدين المسيحيون صد هذا التيار ، ولا الوقوف فى وجه المنطق والعقل وضرورات الحياة . فتركوا الأمور تجرى فى أعنتها . واكتفوا بأن يظهروا من حين لآخر على مسرح الحوادث حينما يتعلق الأمر بملك أو أمير أو عظيم ، وحينما تكون الظروف السياسية مواتية لظهورهم . ليثبتوا وجودهم ، وليبقوا على شيء من سلطانهم الديني . كما حدث فى موضوع ملك انجلترا الأسبق ادوارد الثامن الذي أراد أن يتزوج بمطلقة ملكت عليه قلبه . وكانت الظروف السياسية مواتية حينئذ لإحراج هذا الملك والوقوف فى سبيل رغباته ، فظهرت الكنيسة مهددة بأناجيلها وبأن من « يتزوج مطلقة يزنى » ، فخير بين أن يمتثل لهذا الحكم ويحتفظ بالعرش ، أو ينزل على حكم عقله وقلبه ويتنازل عن الملك . فآثر العقل على الخرافة ، والقلب على التاج .

ومن الغريب أنه كان معروفاً لدى الخاص والعام ولدى الكنيسة والشعب ان هذا الملك كان يعاشر خليلته هذه وهي لا تزال في عصمة زوجها قبل أن تطلق منه ، وكان لها جناح خاص في قصره . ولم يرتفع صوت من الشعب ولا من رجال الكنيسة بالاحتجاج على ذلك . لأن هذه الأمور تعد في عرفهم من الهنات الهينات . ولكن حينما أبدى رغبته ، بعد أن تمت اجراءات طلاقها من زوجها الأول ، بأن يتزوجها على سنة الأب والابن والروح والقدس ، وبأن يعاشرها معاشرة مشروعة ، معاشرة الزوج لزوجه ، لا معاشرة الخليل لخليلته ،

قامت في وجهه الكنيسة وقام في وجهه رجال الدين . وقد حدث مثل ذلك أخيراً للأميرة مرجريت أخت ملكة الانجليز الحالية . فقد أرادت أن تتزوج من ضابط أحبته وأحبها « الكابتن تاونسند » ، فقامت قيامة الكنيسة في وجهها ، لأن هذا الضابط قد طلّق زوجة له من قبل ، وقاعدة الكنيسة ان من يتزوج مطلقاً يزني : مع أن طلاقه هذا كان قد تم وفق الأوضاع المدنية والكنسية نفسها ، لأن زوجته السابقة قد ثبتت عليها الخيانة الزوجية بأدلة قاطعة ، والكنيسة البروتستانتية نفسها التي يدين بها الانجليز تبيح الطلاق في هذه الحالة .

وهكذا لا يظهر رجال الكنيسة الا حينما يكون الأمر متعلقاً بملك أو أمير أو عظيم وحينما تكون الظروف السياسية مواتية لظهورهم . ولا يقصدون بذلك الا انتهاز الفرص لاثبات وجودهم في صورة بارزة والابقاء على شيء من سلطانهم الديني والظهور أمام الشعب بمظهر الجلال والقدسية واقامة الدليل له بطريق عملي على أن مكانتهم فوق مكانة التيجان ومنزلتهم فوق منزلة الأمراء والملوك . ولا أدل على ذلك من أن آلافاً من حالات الطلاق وزواج المطلقين والمطلقات تحكم بها المحاكم الأوروبية والأمريكية وتنفذها الهيئات المدنية في مختلف شعوب الغرب المسيحي على مرأى من الكنيسة ومسمع منها بدون أن تحرك ساكناً أو تقوى على الاعتراض على القوانين التي تبيح ذلك أو على حالات تطبيقها . ولا أدل على ذلك أيضاً من أن رئيس وزراء انجلترا الأسبق (سير انطوني ايدن) قد طلق زوجته الأولى التي هربت مع عشيق لها إلى أمريكا ، وهو الآن متزوج غيرها ،

ولم يرتفع صوت من الكنيسة بالاعتراض عليه ولا على توليه أكبر منصب في الدولة ، لأن الظروف السياسية غير مواتية لارتفاع مثل هذا الصوت .

* * *

« ولقد كان من نتيجة هذا التزمت الغريب من المسيحية في أمر الطلاق واهدار الطبيعة الإنسانية والمقتضيات الحيوية التي توجب الانفصال في بعض الأحيان ـ كان من نتيجة ذلك تمرد المسيحيين على دينهم ومروقهم من وصايا أناجيلهم كما يمرق السهم من الرمية . ولم يستطيعوا إلا أن « يفرقوا ما جمعه الله » فاصطنع أهل الغرب المسيحي قوانين مدنية تبيح لهم الخروج من هذا السجن المؤبد . ولكن كثيراً منهم كالأمريكان أسرفوا وأطلقوا العنان في اباحة الطلاق ـ كأنهم يتحدون الانجيل ـ وبذلك يوقعونه لأتفه الأسباب ، وأصبح غقلاؤهم يشكون من هذه الفوضى التى أصابت هذه الرابطة المقدسة . والتي تهدد الحياة الزوجية ونظام الأسرة بالانهيار ، حتى أعلن أحد قضاة الطلاق المشهورين هناك ، ان الحياة الزوجية ستزول من بلادهم وتحل محلها الإباحة والفوضى فى العلاقة بين النساء والرجال فى زمن قريب ، وهى الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب ، خلافاً لهداية جميع الأديان ، إذ لا دين ولا حب يربطها ، بل الشهوات والتنقل فى وسائل المسرات .

« .. وهذه الظاهرة وهي السير في الأحوال الشخصية وفق قانون مدني يختلف عن تعاليم الدين ، لا تكاد توجد في غير شعوب الغرب المسيحي ، فجميع أهل الملل والنحل الأخرى حتى البرهميون والبوذيون

والوثنيون والمجوس يسيرون في أحوالهم الشخصية وفق تعاليم دياناتهم . وقد نجد من بينهم من استحدث في الأحوال العينية قوانين مدنية تختلف عن تعاليم دينه . ولكننا لا نجد من بينهم من استحدث قوانين مدنية في الأحوال الشخصية ـ أي في شؤون الزواج والطلاق وما إلى ذلك ـ وأمكن لهذه الملل والنحل أن تساير الحياة العملية ، وتجاري طبيعة البشر في هذه الشؤون . والمسيحيون وحدهم هم الذين كفروا بدينهم من الناحية العملية في الأحوال الشخصية على العموم ، وفي شؤون الطلاق على الخصوص ، لأنهم هم أنفسهم قد وجدوا ان تعاليمه في هذا الصدد تنكر الواقع وتتجاهل طبيعة الإنسان ولا تصلح للتطبيق في الحياة »[1] .

« وان صح ما جاء في الانجيل بشأن الطلاق ، ولم يكن هذا من التغيير الذي أصاب الأناجيل في قرونها الأولى .. فلا شك ان الذي يتأمل في الأناجيل حتى بوضعها الحاضر ـ يتبين له ان المسيح عليه السلام ، لم يكن يقصد إلى وضع شريعة عامة خالدة للناس جميعاً . وانما جاء ليقاوم تجاوز اليهود حدودهم فيما رخص الله لهم فيه ، كما صنعوا في أمر الطلاق فقد جاء في الفصل التاسع عشر من انجيل متي أن المسيح حين انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية عبر الأردن ، دنا إليه الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للإنسان ان يطلق زوجته لأجل كل علة ؟ « أي سبب » ، فأجابهم قائلاً : أما قرأتم أن الذى خلق الإنسان فى البدء ذكرًا أو أنثى خلقهم ، وقال :

---

(١) من كتاب حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٨٨ .

لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحدًا ، فليسا هما اثنين بعد . ولكنهما جسد واحد وما جمعه الله فلا يفرقه الإنسان ، فقالوا له : فلماذا أوصى موسى ان تعطي (أي المرأة) كتاب طلاق وتخلي ؟ فقال لهم : إن موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولم يكن من البدء هكذا . وأنا أقول لكم : من طلق امرأته إلا لعلة زني ، وأخذ أخرى فقد زنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى . فقال له تلاميذه : ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج (متى : ١ — ١٠) .

فالواضح من هذا الحوار ان المسيح انما أراد ان يحد من غلو اليهود في استعمال الاذن في الطلاق الذي أعطاهم موسى ، فعاقبهم بتحريم الطلاق عليهم الا إذا زنت المرأة . فهو علاج مؤقت لفترة مؤقتة حتى تأتي الشريعة العامة الخالدة ببعثة محمد .

وليس من المعقول أن المسيح يريد هذا شرعاً أبدياً لكل الناس ، فان حوارييه وأخلص تلاميذه أنفسهم أعلنوا استثقالهم لهذا الحكم العنيف وقالوا : « إن كان هذا شأن الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج ، فان مجرد الزواج من امرأة يجعلها في عنقه غلا لا يمكن الانفكاك عنه بحال ، مهما امتلأ قلبه من البغض لها والضيق بها والسخط عليها ، ومهما تنافرت طباعهما واتجاهاتهما[1] .

* * *

نعود بعد ذلك إلى سؤال الآنسة فلورا . والآنسة ليندا . والآنسة

---

(١) الحلال والحرام فى الإسلام د. يوسف القرضاوى ص ٢٠٥

كارمن وإلى قولهن : «اننا نرى فى الطلاق ـ كما شرعه الإسلام ـ ظلمًا للمرأة واهدارًا لحقوقها مع الرجال» .

لأن ما جمعه الله ـ كما يقول الانجيل ـ لا يفرقه إنسان ...

وهذه الجملة صحيحة من حيث المعنى . ولكن جعلها سبباً لتحريم الطلاق هو الشيء الغريب حقاً ...

ولتوضيح ذلك نقول :

إن معنى أن الله جمع بين الزوجين أى أذن بهذا الزواج وشرعه فصح أن ينسب الجمع إلى الله وإن كان الإنسان هو المباشر لعقد الزواج ، فإذا أذن الله فى الطلاق وشرعه لأسباب ومبررات توجيه وتقتضيه فان التفريق حينئذ يكون من الله أيضًا وان كان الإنسان هو الذى يباشر ذلك . وبذلك يتضح ان الله هو المفرق وهو المجمع . ثم أليس الله هو الذى فرق بينهما بسبب الزنا ؟

فلماذا لا يفرق بينهما بسبب آخر يوجب الفراق[1] .

* * *

سؤال من الآنسة ماري وجانيت وجاكلين :

ـ لكن هل وضع الإسلام شروطاً معينة لإيقاع الطلاق ... ؟

وبعبارة أوضح . هل حدد الإسلام أسباباً خاصة توجب التفرقة بين الأزواج ؟

* * *

(١) المصدر السابق ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

لو قلت : نعم . وبالإيجاب لوقعت في المحظور أو الخطأ الذي وقع فيه غيرنا من رجال الكنيسة والبابوات ..

ذلك لأن الإسلام ينظر إلى العلاقة الزوجية نظرة انسانية مطلقة . ان الزواج كما يصفه القرآن « مودة . وسكن ورحمة » والسكن والمودة والرحمة معان ومشاعر لا يمكن صبها في قوالب تشريعية صماء جامدة كما لا يمكن ربطها بنظريات اجتماعية أو فلسفية مخترعة .. ان السعيد منا لا يمكن ان يصف لنا السعادة التي يحسها بكلمات محددة . وان الشقي التعيس لا يستطيع تصوير ما يعانيه بألفاظ وعبارات معينة .

انها حقائق مجردة .. فما بين الزوجين من مودة ورحمة أو شقاء وتعاسة أمر يرجع إليهما في النهاية . وبالتالي . فان تحديد أسباب الشقاء أو السعادة خروج على العقل والحكمة والفطرة ..

* * *

ولكن ما هو الحل إذا بلغ الشقاق بين الزوجين إلى حد استحال معه الصلح وأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق ؟

وما هو الحل إذا تنافرت طباع الزوجين كل التنافر ، وألقى في نفس احدهما أو كليهما كراهية الآخر حتى إنه ليفضل أن يرى الموت ولا يراه ... ؟

وما هو الحل إذا فسدت أخلاق أحد الزوجين ، واندفع في تيار الفجور والفسق وأصبح فضيحة الفضائح لكل من يتصل به ؟

وما هو الحل إذا جن أحد الزوجين جنوناً مطبقاً ، أو فقد مقومات جنسه ؟ أو كان عقيماً لا يلد ؟ أو غاب غيبة طويلة ولم يعرف أحي

هو أم ميت ؟ أو حكم عليه بالسجن المؤبد ؟ أو أعسر ولم يستطع الانفاق على نفسه وبيته وأهله ؟

وما هو الحل . إذا كانت معاملة أحد الزوجين للآخر معاملة شرسة وتعرض حياته لكارثة محققة ولم يمكن اصلاح هذا الحال بأية وسيلة ..

وما هو الحل إذا رأى الزوجان ان استمرار زواجهما متعذر من كل الوجوه وأراد كل منهما ان يفارق الآخر بالمعروف ؟

* * *

هذه أمثلة لحالات تقع كل يوم وليلة . وفي كل مجتمع وأسرة فهل يمكن لأحد ان يحصر هذه الحالات أو الأسباب في صحيفة أو قائمة ؟

* * *

سؤال من الآنسة جاكلين ..

هل يعني ذلك وقوف الإسلام موقفاً سلبياً من الأزمة أو المشكلة التي تعترض الحياة الزوجية أو الأسرة ؟

* * *

هذا التصور أبعد ما يكون عن واقع الإسلام وحقيقته . فالإسلام يتدخل ويفرض وجوده في كل خطوة . وفي كل مرحلة سواء أكان هذا التدخل قبل الزواج ـ أي في مرحلة الخطبة ـ أم في حال انعقاده وقيامه ، أو حتى بعد فسخه وإلغائه بالطلاق ...

ذلك لأن الإسلام يرى في استقرار الأسرة وسلامتها سلامة المجتمع واستقراره ، وأي شيء يعرض هذا الاستقرار أو هذه السلامة للخطر

يعتبره الإسلام خطرًا تجب ملاحقته واستئصال جذوره ، والقضاء على دوافعه وأسبابه ..

لذلك بغض الإسلام الناس في الطلاق ، وصوره في أبشع صورة ، وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا سبيلاً إلى ذلك . وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » ، ويقول : « تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن »[1] .

ولم يكتف الإسلام بهذا الزجر وهذا الوعيد ، بل اتخذ من النظم في شؤون الأسرة ما يكفل تحاشي الطلاق الا لأسباب قوية قاهرة .

فقرر أنه لا يصح الالتجاء إلى الطلاق لأسباب يمكن علاجها ، أو لأمور يمكن أن تتغير في المستقبل ، أو لا تحول بطبعها دون استقرار الحياة الزوجية . وحتى الأمور التي تتعلق بعاطفة الزوج نحو زوجته أو بكراهيته لبعض أحوالها لا يعدها الإسلام من مبررات الطلاق .

فالإسلام يرى انه لا ينبغي أن يفكر الأزواج في الطلاق لمجرد تغير عاطفتهم نحو زوجاتهم أو طروء كراهية لهن ، أو لمجرد عدم ارتياحهم إلى بعض أحوالهن وأخلاقهن التي ليس فيها ما يمس الشرف أو الدين ، لأن هذه العواطف متقلبة متغيرة ولا يصح ان تبنى عليها أمور خطيرة تتعلق بكيان الأسرة . والزوج ان كره من امرأته خلقاً فقد يكون فيها خلق آخر يرضيه . وفي هذا يقول الله تعالى :

---

(١) ذكره الكاساني في كتابه « بدائع الصنائع » في باب الطلاق .
وانظر أيضاً : كتاب الأسرة والمجتمع للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٢٦ وما بعدها وهذا الكتاب من المراجع الهامة التي اعتمدنا عليها في هذا الحوار .

« وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً »[1] .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيره في طلاق امرأته فقال له عمر : لا تفعل ، فقال : ولكني لا أحبها ، فقال له عمر : « ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب فأين الرعاية وأين التذمم ؟ » يقصد ان البيوت إذا عز عليها ان تبنى على الحب ، فهي خليقة أن تبنى على ركنين آخرين شديدين : أحدهما الرعاية التي تبث المراحم فى جوانبها ويتكافل بها أهل البيت فى معرفة ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات . وثانيهما التذمم والتحرج من ان يصبح الرجل مصدرًا لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد ، وما قد يأتى من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير.

* * *

ومن النظم التي قررها الإسلام كذلك لتحاشي الطلاق أنه أمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفور أن يعملا على ازالته باثارة دواعي الرحمة والوئام . وفي هذا يقول الله تعالى : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا . والصلح خير»[2] .

* * *

ومن النظم التى قررها الإسلام كذلك لتحاشى الطلاق أنه أوجب على الزوجين إذا لم يستطيعا أن يصلحا ما بينهما بنفسيهما ويحققا الوفاق بوسائلهما

---

(١)النساء : ١٩ .

(٢)النساء : ١٢٨ .

الخاصة أن يعرضا أمرهما على مجلس عائلى يتألف من حكمين : حكم من أهل المرأة ، وحكم من أهل الرجل ، ليبحثا أسباب الشقاء ، ويعملا على القضاء على مثيراته ، ويوفقا بين رغبات الزوجين ، حتى يحل الصفاء والوئام محل النفور والخصام . ولا ينتظر الإسلام حدوث الشقاق بالفعل لإجراء هذا التحكيم ، بل إنه ليأمر به عند مجرد الخوف من حدوث الشقاق ، أى عند وجود بوادر تنذر به ، ولا يمكن للزوجين القضاء عليها بوسائلها الخاصة . وفى هذا يقول الله تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرًا »[1] .

* * *

ومن الأمور التي قررها الإسلام كذلك لتحاشي الطلاق انه قد رتب عليه من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة وألقى بسببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، وان من شأن هذه النتائج والأعباء ان تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبر الأمر قبل الإقدام على الطلاق . فقد قرر أنه يجب على الزوج إذا طلق زوجته ان يوفيها مؤجل صداقها ويقوم بنفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ما دامت في العدة ، وتكون حضانة أولادها الصغار لها ولقريباتها من بعدها حتى يكبروا ، ويقوم بنفقة أولادها منه وأجور حضانتهم ورضاعتهم في دور الحضانة ، حتى لو كانت الأم نفسها هي التي تقوم بذلك ، قال تعالى : « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن »[2] .

---

(١) النساء : ٣٥ .

(٢) الطلاق : ٦ .

فإذا لم يستطع مجلس التحكيم أن يوفق بين الزوجين ، ولم تجد الوسائل السابقة جميعاً ، ولم تثن الزوج عن عزمه على الفرقة ، كان في ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تتهدد استقرار الأسرة ، وعلى ان الحياة الزوجية قد فقدت أهم مقوماتها ..

فحينئذ يجيز الإسلام للزوج الطلاق لمصلحة الأسرة نفسها ولتحقيق الصالح العام ..

وحتى في هذه الحالة قد احتاط الإسلام للأمر ، فوضع للطلاق نظماً تتيح للزوج في اثناء اجراءات الفرقة فرصة طويلة ليراجع نفسه ويعدل عما شرع فيه إن كان ثمة سبيل للإبقاء على الحياة الزوجية .

فقد قرر أن يبدأ الرجل بعد استنفاد الوسائل السابقة جميعاً بتطليق زوجته طلقة واحدة رجعية في طهر لم يتصل بها في اثنائه . وانما قرر ذلك لأن الطهر هو فترة كمال الرغبة في المرأة ، والرجل لا يقدم على طلاق امرأته في فترة كمال رغبته فيها إلا لشدة الحاجة إلى الفرقة[1] ، ففي ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تستدعي الطلاق .

فإذا أوقع هذا الطلقة الرجعية الأولى كان مخيراً بين أمرين :

الأمر الأول أن يراجع زوجته في اثناء عدتها . والعدة لغير الحامل تستغرق مدة طويلة تبلغ ثلاثة قروء أي نحو ثلاثة أشهر . فالإسلام قد أعطى المطلق حتى بعد الطلاق فرصة طويلة يراجع فيها نفسه ويرد في اثنائها زوجته إليه ان كان ثمة سبيل للإبقاء على الحياة الزوجية . ولتسهيل الإبقاء على الحياة الزوجية يقرر الإسلام أن هذه المراجعة

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني ، الجزء الثالث ص ٨٨ .

لا تحتاج إلى أي اجراء ، وأنها تتمُ بمجرد اتصال الرجل بمطلقته أو تقبيله إياها .. وما إلى ذلك ، كما تتم بمجرد قوله راجعت امرأتي ، أو عبارة من هذا القبيل . ولكي تكثر بواعث المراجعة ودواعى الإبقاء على الزوجة أوجب الإسلام على الزوج ألا يخرج زوجته المطلقة من منزل الزوجية ما دامت في عدتها : قال تعالى : « يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن .. » إلى أن قال « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبِّينة »[1] .

ويشير القرآن الكريم إلى تفضيل المراجعة والابقاء على الزوجية إذ يقول : «وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحًا»[2] فوصف الرد بأنه إصلاح لما حدث . ويشير القرآن إلى ذلك أيضاً إذ يقول في آية الطلاق :

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، وأَحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ألا إن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ويختم الآية بقوله : «لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا»[3] . فالقرآن الكريم يشير إلى أن الله قد شرع الطلاق فى أول العدة أى فى طهر لم يمس الرجل زوجته فى اثنائه ، وشرع أن تظل المرأة من بعده فى منزل الزوجية طوال مدة عدتها .. شرع كل ذلك ليعطى الزوج فرصة طويلة للتأمل ، ولتكثر بواعث الرجعة ، ودواعى الابقاء على الزوجة ، فلعل الله يحدث أمرًا بعد ذلك فيرجع الزوج عما أبرمه ويراجع زوجته .

(١)الطلاق : ١ .

(٢)البقرة ٢٢٨ .

(٣)الطلاق : ١ .

والأمر الثاني الذي يباح للزوج أن يفعله بعد هذه الطلقة أن يترك زوجته حتى تبلغ أجلها وتنقضي عدتها ، فتطلق منه طلقة بائنة . وحتى بعد ذلك يظل الإسلام حريصاً على الابقاء على الزوجية وعلاج ما حدث ، فيجيز للزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته بعقد ومهر جديدين .

فإذا راجعها إلى عصمته في اثناء عدتها أو تزوجها مرة ثانية بعقد ومهر جديدين بعد انقضاء عدتها ثم شجر بينهما ما يجعله يعزم الطلاق من جديد . وجب عليه أن يسير فى هذه المرة الثانية على الأوضاع نفسها التى شرعت له فى المرة الأولى ويعطيه الإسلام فى هذه المرة الثانية من فرص المراجعة واعادة الزوجية ما اعطاه فى المرة الأولى .

فإذا عاد إلى معاشرة زوجته بمراجعتها في اثناء عدتها أو بالعقد عليها بعد انقضائها وبعد أن طلقها مرتين ، فانه لا يبقى له عليها بعد ذلك إلا طلقة واحدة .

فإذا أوقعها عليها في الأوضاع السابق بيانها كان ذلك دليلاً على ان الخرق قد اتسع على الراقع ، وأن الحياة الزوجية قد أصبحت غير محتملة بين الزوجين ، وأنهما كلما حاولا جبرها اختل عليهما نظامها . فحينئذ يقرر الإسلام الفرقة بينهما نهائياً ولا تحل له بعد ذلك حتى تنمحي آثار العقد الأول والحياة الزوجية الأولى انمحاء تاماً ، وذلك لا يكون إلا إذا تزوجت من شخص آخر ، وانتهى الأمر بطلاقها منه طلاقاً عادياً ، ورأى كلاهما بعد هذه المدة الطويلة وبعد تغير الأحوال على هذا الوجه انه من الممكن استعادة الحياة الأولى على وضع أقوم وأمثل .

وفي هذا يقول الله تعالى : « الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف

أو تسريح بإحسان» إلى أن يقول «تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد» (أى من بعد هذه الطلقة الثالثة) «حتى تنكح زوجًا غيره فإن طلقها» (أى هذا الزوج الآخر طلاقًا عاديًا وانقضت عدتها منه) «فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله . وتلك حدود يبيِّنها لقوم يعلمون»[1] .

هذا ، ولم يدخر الإسلام وسعاً في إحاطة المرأة المطلقة بعطف كريم ورعاية رحيمة ، وفي العمل على حفظ حقوقها وحمايتها من الإضرار بها ، وذلك بما سَنَّه من نظم رشيدة في النفقة والحضانة والعدة والارضاع وطرق ايقاع الطلاق وزمنه ... وما إلى ذلك . وفي هذا يقول الله تعالى : «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[2] . ويقول «يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدري

---

(١) البقرة ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) البقرة : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف»[1] . ويقول «أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . وَأْتَمِروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى»[2] . ويقول : «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا . أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ؟ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا»[3] .

* * *

وبجانب هذا النوع من الطلاق الذي شرعه الإسلام بعد الدخول بالزوجة وتوثيق رباط الزوجية بينهما ، أجاز الإسلام طلاق الرجل لمن عقد عليها قبل ان يدخل بها إذا كان ثمة ما يدعو إلى ذلك ، حتى يتفرقا ويغني الله كلا من سعته ، قبل ان يتم الدخول ، فيؤدي ذلك إلى الإضرار بكل منهما وايذائه في مستقبله . ومع ذلك فقد أوجب الإسلام على الرجل في هذه الحالة نصف المهر المتفق عليه ، كما أوجب عليه المتعة للزوجة ، وهي تعويض يقدره الحاكم حسب الظروف وحسب حالة الزوج المالية وحسب ما لحق المرأة من ضرر[4] .

---

(١) الطلاق : ١ ، ٢ .

(٢) الطلاق : ٦ .

(٣) النساء ٢٠ ، ٢١ .

(٤) يرى أبو حنيفة أن المتعة كسوة كاملة يقدمها الزوج لمطلقته .

وفي هذا يقول الله تعالى : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًا على المحسنين . وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، إن الله بما تعملون بصير »[1] .

* * *

وبجانب هذين النوعين من الطلاق اللذين وكل الأمر فيهما إلى الزوج وحده في الحدود السابق بيانها ، شرع الإسلام أربعة أنواع أخرى من الطلاق :

(أحدها) طلاق تستبد به المرأة ، وذلك إذا كانت قد اشترطت في عقد الزواج ان تكون عصمتها بيدها ، أي أن تملك حق الطلاق ، وقبل زوجها ذلك . ففي هذه الحالة يكون لها حق الطلاق في بعض المذاهب بشروط وأوضاع خاصة .

(وثانيها) طلاق يقع عند الاخلال بشرط اشترطته المرأة في عقد الزواج . فإذا أخل الزوج بهذا الشرط وقع الطلاق في بعض المذاهب ، على ألا يكون هذا الشرط شرطاً فاسداً يتعارض مع مقومات الزوجية وحدود الله .

(وثالثها) طلاق يوقعه القاضي لإعسار الزوج وعدم قدرته على النفقة ، أو لاتقاء الضرر أو الضرار ، أو لغيبة الزوج غيبة طويلة .

---

(١) البقرة : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(ورابعها) طلاق يقع عن تراض من الرجل والمرأة كليهما . ويتم في الغالب عن طريق تنازل المرأة عن جميع مالها عند زوجها أو عن بعضه أو عن طريق اعطائه شيئاً من المال يتراضيان عليه . ويسمى هذا بالخلع . ويحدث عندما ترى الزوجة تعذر الحياة الزوجية ، وتخاف إن أقامت مع زوجها على هذه الحال ألا تتمكن من إقامة حدود الله . وإلى هذا النوع يشير القرآن الكريم إذ يقول : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألّا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » [1]

* * *

هذا هو نظام الطلاق في الإسلام ، وهو كما رأينا حل ينظر إليه الإسلام كما ينظر إلى جراحة لا بد من إجرائها فلا يقرها إلا إذا تعذر الشفاء بغيرها ، وسط بين الافراط والتفريط : لا تسد منافذه حتى تشقى الأسرة بتحريمه كما هو شأن النظام المسيحي ، ولا تتسع كل الاتساع حتى يفقد معه ميثاق الزواج ما له من حرمة وجلال ، كما هو شأن النظم المدنية في بعض أمم الغرب ، ولا تتوعر طريقه حتى يتلمسه الزوجان المتكارهان في الاتفاق على دعوى الخطيئة ووصم الأسرة بعار أبدي كما هو شأن النظم المدنية في أمم أخرى من أمم الغرب .

---

(١) البقرة ٢٢٩ ـ انظر فى الأوضاع التى شرعها الإسلام للطلاق بحثًا قيِّمًا للعلامة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر بعنوان «نظام الطلاق فى الإسلام» . وقد كان هذا البحث من أهم مراجعنا فى هذه الفقرة .

نعود مرة ثانية إلى سؤال الآنسة فلورا . ولندا . وكارمن ...
أين هي قسوة الإسلام في تشريعه الخاص بالطلاق ؟
وأين تقف المرأة أو الأسرة الأوروبية من شريعة « ... لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ... » . !

لقد انتهى كل شيء ... ضاع الأمل . واختنق صوته الحبيس في أعماق بؤرة الحزن والألم .. لم يعد هناك شيء مقدس يحترمه الناس في حضارة الغرب .. الدين والمثل لم يبق منهما في ضمير هذا المجتمع أثر .. لقد تلاشى الخير . والحق .. كل الأسفار والكتب والوصايا والكنيسة . تحولت إلى ركام وأنقاض وذكريات . وما بقي لهذه الأشياء كلها في الضمائر والقلوب سوى آهات الندم والتوجع على شيء مضى .. وفات .. !

في البيت الذي أقيم فيه .. لا أرى رجلاً غيري يدخل هذا البيت ... أكثر من في البيت أرامل ومطلقات . وشاردات لا يعرف لهن أسرة ولا أصل . صورة مكررة في لندن . وسيدني وباريس وموسكو ونيويورك . وفي كل دولة أو دويلة من أمم الغرب ...

وتؤكد دراسة نشرت في كندا Canada أن نسبة الطلاق في هذه الدولة زادت ٤٠٠٪ اربعمائة في المائة ..

وفي موسكو أثبتت احدى الاحصائيات ان عدد حالات الطلاق في مدينة موسكو وصلت إلى مليون حالة في سنة واحدة . وأن في بعض المدن الروسية تصل نسبة الطلاق إلى حوالي خمسين في المائة ..

وفى مدينة « دلاس » بالولايات المتحدة الأمريكية تمَّ طلاق مائة رجل وامرأة فى عشرين دقيقة .. !

وفي بريطانيا يطالب ٥٠ ٪ خمسون في المائة من المتزوجين بالطلاق وإنهاء حياتهم الزوجية ... وقال السير « جورج بيكر » ، رئيس المحكمة العليا لشؤون الأسرة ان عدد حالات الطلاق خلال العام الماضي في انجلترا وويلز بلغت ١٤٦,٠٠٠ مائة وستة وأربعين ألفاً مقابل ٣٥٦.٠٠٠ ثلاثمائة وستة وخمسين الف حالة زواج ..

وفي ايطاليا صَوّت الشعب الايطالي ضد الكنيسة ووافق على مشروع الحكومة الذي يطالب بتيسير وإباحة الطلاق ..

والفاتيكان الذي يهيمن على الكنيسة . ويحرم زواج المطلقة ويعتبر الطلاق كفرا وهرطقة . خضع للواقع ووافق على الانفصال لأسباب بعيدة كل البعد عن ارتكاب الزنا أو الفاحشة ، ونسي أو تناسى ان ما جمعه الله لا يفرقه البابا ولا غيره من رجال الكنيسة .. !

ولماذا نذهب بعيداً عن هنا .. عن استراليا التي نحن فيها ... ؟ أليست هناك محاكم مختصه بشؤون الأسرة وتحكم بالطلاق والانفصال لأسباب معروفة وشائعة ؟

لقد نشرت مجلة الايكونوميست[1] The Economist تحقيقاً مفصلاً عن هذه المشكلة تحت عنوان « تزوج مرة أخرى إذا اضطررت Remarry if you must وفي هذا البحث تقول مجلة الايكونومست :

كنيسة انجلترا على وشك قبول واقع الطلاق . ولهذا يجب على الحكومة اقامة محاكم الأسرة .

---

(١) عدد ١٣ – ١٩ مايو ١٩٧٨ م .

في سنة ١٩٥٥ تناولت الأميرة مرجريت تعليم الكنيسة التي آمنت بها مثل أي انسان. ، حين قالت عبارتها « يجب مراعاة تعليم الكنيسة وأن الزواج المسيحي غير قابل للانحلال » والآن وبعد عامين من الانفصال بينها وبين اللورد سنودن يطلبان التطليق ، كما تبحث أيضاً كنيسة انجلترا عن حل أو تأويل لهذا التعليم لتكون الكنيسة مفتوحة الباب لابتلاع العديد من العشاء الرباني .

سيذاع الأسبوع القادم تقرير لجنة الزواج الذي وضعه رؤساء أساقفة كانتربري ويورك .

مع الأخذ في الاعتبار بهذين الأمرين ..

١ – لا تشير زيادة حالات التطليق في بريطانيا إلى توقف ارتفاعها المضطرد . !

٢ – في العام الماضي ، ولأول مرة زادت مراسم الزواج التي عقدت في مكاتب التسجيل المدنيه عن تلك التي عقدت في الكنيسة . !

٣ – لا يتحدث الأساقفة الإنجيليون عن القساوسة الذين يساعدون المطلقين للحصول على مراسم عرس كنيسة .

ولهذا ، فقد أصبح من الأسلم أن يسمح للناس أن يصنعوا في الكنيسة ما يمكن أن يصنعوه خارجها بأي طريقة .. الزواج مرة أخرى بعد التطليق .

لن يحدث التغير بين يوم وليلة .. فيجب مناقشة التقرير على مستوى المجمع الكنسى العام والأسقفية الإنجيلية . على أن لا يؤخذ الأمر على أنه مسألة لاهوتية بحتة للأنجيليين فقط . وبما أن كنيسة انجلترا هى الكنيسة المقررة

فى الأرض ، فكما تحب ان لا تذهب قوانينها بعيدًا كالقانون المدنى (كالذى حدث بصدور لائحة الطلاق فى سنة ١٩٦٩ التى جعلت الطلاق سهلاً) فالقانون المدنى لا يريد أيضًا ان يتقدم بعيدًا جدًا أمام الكنيسة . وعلى الرغم من ذلك لا زالت تزداد الضغوط لإحداث تغيرات فى القانون المدنى . لقد انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق ـ مثل استراليا ـ يسمح بانتهاء أى زواج ، بعد أن يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد والجمعية القانونية ربما تصدر فى الشهر القادم نداءها للإصلاح .

لماذا التراخي في قانون الطلاق ، مع إمكان تحقيقه بالبريد (حتى في اسكتلندا) يقول بعض المحامين ان أزواجاً كثيرين لا يريدون الانتظار لمدة عامين بعد الانفصال . وهم بدلاً من هذا الانتظار ـ يتفقون على تلفيق اتهامات بالزنا أو الوحشية ، حتى يمكن أن يتحقق الطلاق في ثلاثة أشهر ، وهكذا يستهزأ بالقانون ، ويضيع وقت المحكمة .

والمناقشة الجديدة للطلاق ، لن تكون أسوأ من سابقتها ذلك ان عرائض وطلبات الطلاق فى انجلترا وويلز ارتفعت من ٣٨,٠٠٠ فى عام ١٩٥١ إلى ١٤٠٠٠٠ فى عام ١٩٧٦ . وهكذا أصبح الطلاق عرفًا اجتماعيًا مقبولاً وراسخًا وهو العلاج حينما يفشل الزواج .

وبعد .. فهل أقول وداعاً ... ؟

نعم ... ولكن ليس قبل أن أشكركن واحدة . بعد واحدة ...

دورثى . ريتا . لورا . ديانا . كارول . تريزا . باتى . جانيت . مارى .

بريجيت . هيلين . جاكلين . سالى . فلورا . فانيسا . كارمن . كاترين . ليندا ..

شكرًا لإتاحة هذه الفرصة التى لا أظنها تتكرر مرة ثانية . وشكرًا لهذه الروح المشعة بنور التفاهم والتسامح والمحبة ... وداعًا ... وشكرًا ... لطالبات جامعة سان دى فنسنت .

وللأمل ...

والبشائر ...

والمستقبل ... ! !

المحتويات

* وعند المسيحيين .. ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ...
* إذن ... فلن يتزوج أحد كما قال الحواريون للمسيح ...
* من تزوج مطلقة يزنى .. ومن يزنى فلا شىء عليه ... !
* وكان البديل ... خروجًا على وصايا الإنجيل ...
* وهذا هو موقف الإسلام من الطلاق ...
* احصائيات وأرقام من أوربا وأميركا ..
* وماذا تقول مجلة الايكونومست ... ؟
* شكرًا .. طالبات جامعة سان دى فنسنت ...

رقم الايداع : ٥١١٢ / ٨٧
الترقيم الدولى : ٩ ـ ١٠٢ ـ ١٤٨ ـ ٩٩٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا : شروق ـ تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

